



مركز الدراسات
والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review



مجلة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات والمراجعة العلمية

العدد السابع والعشرون والثامن والعشرون
شهر رمضان-١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م



مركز الدراسات
والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

أهراف معرفة

المشرف العام

سماحة السيّد أحمد الصافي

الإشراف العلمي

السيّد ليث الموسوي

رئيس التحرير

السيّد عقيل الياسري

مدير التحرير

الشيخ حسن علي الجوادي

سكرتير التحرير

الشيخ حسين مناحي

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود

أحمد كاظم الحسناوي

التصميم والإخراج الفني

علاء سعيد الأسدي

المحتويات

أوراق قرآنية

- ١٠ - مسألة في تفسير آية ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ / الشريف المرتضى
- ١٥ - النسخ في الشريعة الإسلامية / زعيم الطائفة السيّد أبو القاسم الخوئي
- ٢٢ - مفارقات في الرسم القرآني / العلامة السيّد جعفر مرتضى العاملي
- ٢٧ - متى يمن الله على المستضعفين / العلامة محمّد جواد مغنية
- ٢٩ - في مغزى البسملة عند قراءة القرآن وسائر الأفعال / السيّد محمّد باقر السيستاني
- ٣٦ - مقياس علمي أصيل تزان في ضوئه حقائق القراءات / د. محمّد حسين الصغير

أوراق فكرية

- ٣٨ - واجب الاعتقاد / العلامة الحلي
- ٤١ - نظرية وحدة الوجود / الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء
- ٤٧ - الرسالة النيتشرية / الشيخ آقا بزرك الطهراني
- ٥٢ - رؤيته سبحانه يوم القيامة بالأبصار المادية / الشيخ جعفر السبحاني
- ٥٥ - كيف نشأت الحياة على الأرض / الشيخ محمّد حسن آل ياسين

أوراق علمية

- ٦٤ - عبادة الجاهل / الوحيد البهبهاني
- ٦٨ - قاعدة الاعتداء / الشيخ جعفر كاشف آل كاشف الغطاء
- ٧٠ - قاعدتان أصوليتان / الدكتور عبد الهادي الفضلي
- ٧٤ - اختلاف المجتهدين في الفتاوى / آية الله العظمى الشيخ محمّد إسحاق الفياض
- ٧٦ - مات وعليه حجة الإسلام وتبرع متبرع / السيّد محمّد رضا السيستاني

أوراق تاريخية

- ٨٦ ١- دفن النبي محمد ﷺ / السيد محمد تقي الحكيم
- ٨٨ ٢- سؤال وجواب / السيد محمد سعيد الحكيم
- ٩٢ ٣- الوليد الجديد / العلامة الشيخ باقر شريف القرشي
- ٩٧ ٤- الحمزة بن عبد المطلب / السيد محمد علي بحر العلوم

أوراق اجتماعية

- ١٠٦ ١- صلاح القلب وفساده / العلامة المشكيني
- ١٠٩ ٢- روايات في عزاء ولبس السواد على الحسين ﷺ / العلامة محمد علي الأوردبادي
- ١١٢ ٣- شرح خطبة أمير المؤمنين حول النساء / الشيخ ناصر مكارم الشيرازي
- ١١٦ ٤- المشاعر المتناقضة / الشيخ محمد تقي فلسفي

أوراق ثقافية

- ١١٨ ١- العناوين العامة للأخلاق / السيد محمد هادي الخرسان
- ١٢٥ ٢- الشعر / الشيخ عبد الحسين الجواهري
- ١٢٨ ٣- بعض الحقوق / الإمام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ

الورقة الأولى

آفاق تتجدد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، الذي جلّت قدرته، وعظم سلطانه، ووسعت رحمته كلّ شيء، وأحاط علمه بما كان وما يكون. نحمده سبحانه على نعم لا تُحصى، ونشكره على آلائه التي لا تُستقصى، ونصليّ ونسلم على سيدنا ونبينا محمد المصطفى، خير من دعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وعلى آله الطيبين الطاهرين، مصاييح الدجى وسفن النجاة.

وبعد.. فإنّ العلم هو النور الذي تهدي به العقول، والرسالة التي تحفظ للأمة هويتها، وتصون عقيدتها، وتبني حاضرها ومستقبلها. وقد أولت الشريعة الإسلامية العلماء منزلة سامية، وجعلت نشر المعرفة وإحياء الفكر من أعظم القربات إلى الله تعالى. كما روي عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال: «العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وآثارهم في القلوب موجودة»^(١).

وقد روي عن مولانا الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد، ووضعت الموازين، فيوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء»^(٢).

كما روي عنه (عليه السلام): «إنّ علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك

(١) مستدرک سفينة البحار للنهاري: ج ٧، ص ٣٦٥.

(٢) شرح أصول الكافي لصدر الدين محمد الشيرازي: ج ٢، ص ٣.

والخزر ألف مرة؛ لأنه يدفع عن أديان محبينا، وذلك يدفع عن أبدانهم»^(١).

وانطلاقاً من هذه الرؤية، تواصل مجلة أوراق معرفية مسيرتها الثقافية والعلمية، واضعةً نصب عينيها خدمة الفكر الإسلامي الأصيل، ونشر المعرفة الدينية الرصينة، وتعزيز الوعي الثقافي، ومدّ جسور التواصل بين العلماء والفضلاء وطلبة العلوم الدينية، بما يسهم في ترسيخ الثقافة الإسلامية الأصيلة، ومواكبة التحديات الفكرية المعاصرة.

وفي هذا العدد المزدوج السابع والعشرين والثامن والعشرين، تواصل المجلة نهجها في تقديم بحوثٍ ودراساتٍ ومقالاتٍ علمية متنوعة، تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتستمد مادتها من النتاج العلمي لثلة من العلماء والفضلاء، إيماناً بأن الكلمة الهادفة هي أساس البناء والإصلاح، وأنّ نشر العلم مسؤولية ورسالة قبل أن يكون عملاً ثقافياً.

وإنّ بلوغ المجلة هذه المرحلة المباركة لم يكن ليتحقق لولا توفيق الله تعالى أولاً، ثم ثقة قرائها الكرام، وعطاء الكتّاب والباحثين، وجهود هيئة التحرير والعاملين فيها، الذين بذلوا وسعهم ليخرج هذا العمل بالصورة التي تليق برسالته وأهدافه.

واستلهاماً لقول رسول الله ﷺ: «الدالُّ على الخير كفاعله»^(٢)، حرصت المجلة على أن تكون منبراً لنشر آثار العلماء والفضلاء، وإيصال نتاجهم العلمي إلى أوسع شريحة من القراء، إسهاماً في إشاعة ثقافة العلم، وترسيخ قيم المعرفة، وخدمة مدرسة أهل البيت عليه السلام.

ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم والباحثين والقراء، وأن يبارك في كلّ قلم صادق، وفكرٍ نافع، وعملٍ مخلص، إنّه وليّ التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ج ٢ ص ٥.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ج ٦٨ ص ١٦.

اول افلاية

والسابقون الأولون

بأعداد الجنة وحسن المنقلب في ﴿هَلْ أَتَى عَلَى
الْإِنْسَانِ﴾^(٢) ونظائرها قتلوا لله وينسبون معناه
إلى من أردتم فما الفصل؟

وقالوا: قبض النبي ﷺ من كذا وكذا
الصحابي، أفترى هؤلاء كلهم ضلُّوا، وهذه
الوعود الحسنة والأقوال الجميلة لهم وفيهم،
فإن كانوا ضلُّوا فمن بعدهم ممن تابعهم أضلُّ
وأضلُّ من بعد أولئك أيضًا إلى اليوم بالظلم
الآن والبغي والربا وشرب الخمر والمناكرات
والفواحش والجنة المنعوتة إلى الأمم سكانها،
ومن هذه الأمة؟ مع هذه الصفات القبيحة
المظنة أهلها، فإن لم يكن الصدر الأول وإلا ما
عدهم.

سأل الإمامية مخالفونا، فقالوا: أخبرونا
أليس الله تعالى يقول: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(١) مع
نظائرها أو ليس هذا إخبار صدق يقطع العذر
وضوحه وينفي الشك بيانه ويسقط إن دلَّ عليه
ويقوم تبصرة نفسه.
فإن قلتم: بلى.

قلنا: عرّفونا من هؤلاء؟ وميزوهم لنا من
غير توالي وتعادي على بصيرة وثبت ويكون
على يقين. وإن افترضتم في هذه المدعوة الجميلة
بأمر، لزمكم مثله فيمن تزعمون أنه وعد

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

(٢) سورة الإنسان: الآية ١.

الجواب: قال الشريف الأجل المرتضى علم الهدى: قد بيّنا في كتابنا المعروف بـ(الشافي) الذي نقضنا به على صاحب الكتاب المعروف بـ(المغني) كلامه في الإمامة وتعلقه بهذه الآية، لأنّه أوردها من جملة ما احتج به، وحكاها عن أبي علي الجبائي واستقصينا الكلام فيها، ونورد هاهنا جملة كافية مقنعة.

وأول ما نقوله: إنّ ظاهر هذه الآية لا تقتضي أن السبق المذكور فيها إنما هو السبق إلى إظهار الإيذان والإسلام واتباع النبي ﷺ، لأنّ لفظ (السابقين) مشتركة غير مختصة بالسبق إلى شيء بعينه.

وقد يجوز أن يكون المراد بها السبق إلى الطاعات، فقد يقال لمن تقدم في الفضل والخير: سابق ومتقدم. قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ^(١) أولئك المقربون ^(٢) فإنما أراد المعنى الذي ذكرناه، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ ^(٣) ويكون معنى قوله تعالى: ﴿الْأَوَّلُونَ﴾ التأكيد للسبق والتقدم والتدبير فيه، كما يقال: سابق بالخيرات أول سابق.

(١) سورة الواقعة: الآية ١٠.

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٢.

وإذا لم يكن هاهنا دلالة تدلّ على أن المراد بالسبق في الآية إلى الإسلام فقد بطل غرض المخالفين. وإذا دعوا فيمن يذهبون إلى فضله وتقدمه أنّه داخل في هذه الآية إذا حملنا على السبق في الخير والدين احتاجوا إلى دليل غير ظاهر الآية، وأنّى لهم بذلك.

ثم إذا سلمنا أن المراد بالسبق في الآية السبق إلى الإسلام والإيمان بالنبي ﷺ فلا بدّ من أن تكون الآية مشروطة بالإخلاص وأن يكون الظاهر كالباطن، فإنّ الله لا يعد بالجنة والرضوان من أظهر الإسلام وأبطن خلافه.

ولا خلاف بيننا وبين مخالفينا في أنّ هذا الشرط الذي ذكرناه مراعى في الآية، وإذا كان لا بدّ من مراعاته فمن أين للمخالف أن القوم الذين يذهبون إلى تعظيمهم وتفضيلهم ممن أظهر السبق إلى الإسلام كان باطنهم كظاهريهم، حتى يستحق الدخول تحت الوعد بالجنة والرضا من الله تعالى.

ويختص مخالفونا بشرط آخر يذكرونه على مذاهبهم، وهو أنّهم يشترطون في هذه الآية وفي أمثالها من آيات الوعد بالثواب على الطاعات، أن لا يأتي هذا المطيع بما يسقط به ثواب طاعته من الأفعال القبيحة. ونحن لا نشترط ذلك لأنّ مذاهبنا أنّ المؤمن على

الحقيقة^(١) سرًا وعلانية لا يجوز أن يكفر، ولا يحتاج إلى هذا الشرط، وإن شرطنا نحن وهم جميعًا في آيات الوعيد بالعقاب، إلّا أن يتوب^(٢) هذا العاصي فإنَّ التوبة تسقط عندنا العقاب تفضلاً وعند مخالفينا وجوبًا، فلا بدّ من اشتراطها في الوعيد بالعقاب.

فمن أين لمخالفينا إذا ثبت لهم دخول من يريدون دخوله في الآية، مضافًا إلى إيمانه باطنًا وظاهرًا أنّه ما أتى طول عمره بما يسقط ثواب سبقه إلى الإسلام.

فإن قالوا: فمن أين تعلمون أنتم أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو معني بهذه الآية عندكم قد حصل فيه الشرط الذي ذكرتم أنّه لا بدّ من اشتراطه. قلنا: نحن لا نعتمد في الدلالة على فضل أمير المؤمنين عليه السلام وتقدمه على الخلق في الثواب بعد الرسول صلى الله عليه وآله بهذه الآية، فيلزمنا أن نذكر حصول شرطها فيه، بل نعتمد في ذلك على ما هو معروف مسطور في الكتب مما ليس للمخالف مثله، وإنّما يجب على المخالف إذا كان معتمدًا في فضل من يذهب إلى تفضيله على هذه الأمة^(٣) أن يدلّ على أنّ الشرط المعتبر في هذه الآية

حاصلة فيه بعد، وقد ثبت عصمة أمير المؤمنين عليه السلام عندنا وطهارته من القبائح كلها، وأنّه لا يجوز أن يظهر من الطاعات والخيرات خلاف ما يظن.

وأكّد ما دلّ على ذلك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أنّ النبي صلى الله عليه وآله نصّ عليه بالإمامة والاستخلاف بعده على أمته بالأدلة التي ذكرناها في كتبنا وبسطانها، لا سيما في الكتاب (الشافي).

وإذا ثبت أنّه الإمام المستخلف على الأمة، ثبت أنّه معصوم، لأنّ العقول قد دلّت على أنّ الإمام لا بدّ من أن يكون معصومًا لا يجوز تخطيه من الخط ما جاز على رعيته، فهذه الدلالة ونظائرها نعلم أنّ باطن أمير المؤمنين عليه السلام كظاهره، وأنّه لا يجوز أن يظهر من الخيرات والطاعات ما يجوز أن يظن خلافه فنعلم بذلك دخوله قطعًا تحت الآية.

وهذا هو الجواب عن الاعتراض بحصول التوابع فيمن عني بسورة ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾. فإن ادعى مخالفونا دخول غيره فيه، فيجب أن يدلوا على مثل ما دللنا عليه، وإلّا كانوا حاصلين على الدعوى العارية من برهان.

على أنّنا نقول: ليس يخلو المراد بالسابقين المذكورين في الآية، هو السابق

(١) في الهامش: كذا.

(٢) ظ: ألا يتوب.

(٣) خ ل: الآية.

بعده إسلام من واحد، ومعلوم خلاف ذلك.

فقد بان بهذه الجملة مذهبنا في المعني بهذه الآية، لأنَّه إن كان المراد بها السبق إلى الخيرات والطاعات، وكل سابق في ذلك ممن ظاهره كباطنه، داخل تحته. وإن كان المراد السبق إلى الإسلام، وكل سابق إلى الإسلام ممن باطنه فيه كظاهره وعلايته كسره داخل في الآية. فمن ادعى في بعض ما اختلف في إسلامه أن إسلامه يتقدم له الدليل على ذلك.

ثم عليه بعد ذلك إذا ثبت له تقدم إظهار الإسلام أن يدل على أن الباطن كالظاهر، ثم على سلامة ثوابه، ومعلوم تعذر ذلك وتعسره على من يروم من مخالفينا، وإلا فليتعاطوه ليعلموا عجزهم عن ذلك.

فأما ختم به هذه المسألة من أن النبي ﷺ قبض عن كذا وكذا الصحابي أفتى هؤلاء كلهم ضلوا؟

فالجواب عنه: معاذ الله أن يفضل عن الحق جميع أصحاب النبي ﷺ، أو يعدل إلى القول بالباطل على جميع الأئمة في وقت من الأوقات، بل لا بد للحق في كل زمان من قائل به وذاهب إليه ومقيم عليه، وإن ضل عنه غيره.

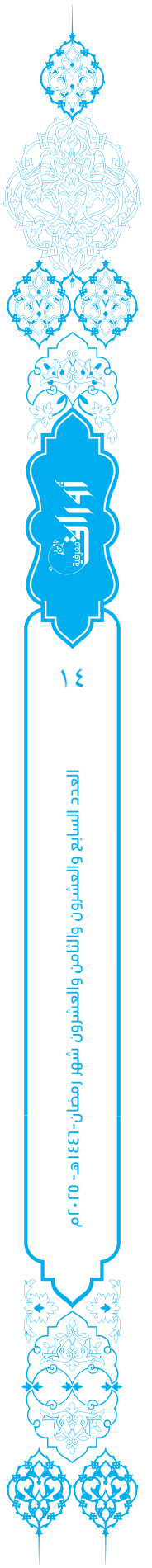
الذي لم يتقدمه غيره، أو يراد به من سبق سواه، وإن كان مسبوقاً في نفسه بغيره، وإن كان المراد هو الأول، فالذين هم بهذه الصفة في السبق إلى الإسلام أمير المؤمنين ﷺ وحمزة وجعفر وخباب بن الأرت وزيد بن حارثة وعمار بن ياسر (رحمة الله عليهم)، ومن الأنصار سعد بن معاذ وأبو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين.

فأما أبو بكر ففي تقدم إسلامه خلاف معروف، وقد ذكر أهل النقل أن إسلام أمير المؤمنين ﷺ وعمر^(١) وجعفر وخباب وزيد كان مقدماً لإسلامه، والأخبار بذلك في نقل أصحاب الحديث وأصحاب السير من العامة مشهورة معروفة.

فعلى من ادعى تقدم إسلام أبي بكر وأنه سابق لا متقدم له أن يدل على ذلك، وهيهات أن يتمكن من ذلك. ثم إذا دلَّ عليه، وجب أن يدلَّ على نظائره في أن ظاهره كباطنه، وإن لم يأت في باقي عمره ما يزول معه الثواب الذي استحقه بإيمانه وإسلامه، دون ذلك خرط القتاد.

وإن كان الأمر على الوجه الثاني الذي قسمناه في كلامنا، فهو مؤدَّ إلى أن يكون جميع المسلمين الذين اتبعوا النبي ﷺ سابقين في الإسلام إلا الواحد الذي لم يكن

(١) ظ: حمزة.

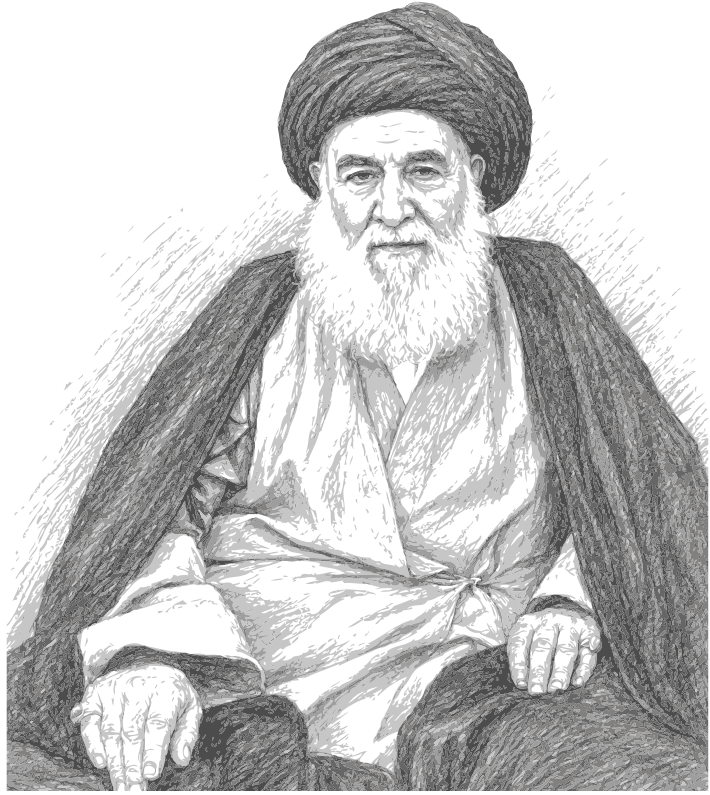


[رسائل الشريف المرتضى]

والذين ضلُّوا الضلال الشديد بعد
وفاة النبي ﷺ من بعد مخالفته فيمن نصبه
للإمامة وارتضاه للخلافة، وعدل بالأمر
عنه وصيره في غيره، افتتأناً على الرسول،
وتقدماً بين يديه، وخلافاً ظاهراً عليه، ثم
اتبع هؤلاء الجم والعدد الكثير تقليداً لهم
وحسن الظن بهم، وعجزاً عن الاختبار
والاعتبار فضلاً أيضاً دون ذلك الضلال.
ونفى أهل الحق الذين علموا أنَّ الإمامة
في أمير المؤمنين (عليه السلام) بالنص والتوقيت، وأَنَّه
وإنْ أغلب على مقامه، وحيل بينه وبين
حقه، فهو المستحق للإمامة.

وهؤلاء جماعة بني هاشم، ومن
المهاجرين والأنصار جماعة كثيرة معروفون
وهم الذين تأخروا عن بيعة أبي بكر،
 واجتمعوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) متحاورين
إليه وتعمدت ما يصرفهم عليه ويزيدهم
به، فلما رأوا حاله على الاستمرار على
المنازعة والمجادبة.

وهذا الأمر بعد أن قربت الشبهة فيه
وكثرت الأعوان عليه. وإذا عدد النصارى لما
تم من الاختيار علماً منه بما يعقب المخارجة،
وتورث المجاهرة من الفساد العظيم في
الدين، وتفرَّق الشمل وتشعب الحيل اقتداءً
به في الإمساك والمشاركة، إلى أن يقضي الله
أمراً كان مفعولاً.



النسخ في الشريعة الإسلامية

زعيم الطائفة السيّد أبو القاسم الخوئي

لا خلاف بين المسلمين في وقوع النسخ، فقد قسّموا النسخ في القرآن إلى ثلاثة فإِنَّ كثيراً من أحكام الشرائع السابقة قد نسخت بأحكام الشريعة الإسلامية، وإن جملة من أحكام هذه الشريعة قد نسخت بأحكام أخرى من هذه الشريعة نفسها، فقد صرّح القرآن الكريم بنسخ حكم التوجّه في الصلاة إلى القبلة الأولى، وهذا مما لا ريب فيه.

وإنّما الكلام في أن يكون شيء من أحكام القرآن منسوخاً بالقرآن، أو بالسنة القطعية، أو بالإجماع، أو بالعقل. وقبل الخوض في البحث عن هذه الجهة يحسن بنا أن نتكلم على أقسام النسخ، فقد قسّموا النسخ في القرآن إلى ثلاثة أقسام: ١ - نسخ التلاوة دون الحكم:

وقد مثلوا لذلك بآية الرجم فقالوا: إن هذه الآية كانت من القرآن ثم نسخت تلاوتها وبقي حكمها، وقد قدمنا لك في بحث التحريف أن القول بنسخ التلاوة هو نفس القول بالتحريف وأوضحنا أن مستند هذا القول أخبار آحاد وأن أخبار الآحاد لا أثر لها في أمثال هذا المقام.

فقد أجمع المسلمون على أن النسخ لا يثبت بخبر الواحد كما أن القرآن لا يثبت به، والوجه في

ذلك - مضافاً إلى الإجماع - أنَّ الأمور المهمة التي جرت العادة بشيوعها بين الناس، وانتشار الخبر عنها على فرض وجودها لا تثبت بخبر الواحد فإنَّ اختصاص نقلها ببعض دون بعض بنفسه دليل على كذب الراوي أو خطئه وعلى هذا فكيف يثبت بخبر الواحد أن آية الرجم من القرآن، وإنما قد نسخت تلاوتها، وبقي حكمها، نعم قد تقدّم أنَّ عمر أتى بآية الرجم وادعى أنَّها من القرآن فلم يقبل قوله المسلمون، لأنَّ نقل هذه الآية كان منحصراً به، ولم يشتهوها في المصاحف، فالتزم المتأخرون بأنَّها آية منسوخة التلاوة باقية الحكم.

٢ - نسخ التلاوة والحكم:

ومثّلوا لنسخ التلاوة والحكم معاً بما تقدّم نقله عن عائشة في الرواية العاشرة من نسخ التلاوة في بحث التحريف، والكلام في هذا القسم كالكلام على القسم الأول بعينه.

٣ - نسخ الحكم دون التلاوة:

وهذا القسم هو المشهور بين العلماء والمفسرين، وقد أُلّف فيه جماعة من العلماء كتباً مستقلة، وذكروا فيها النسخ والمنسوخ. منهم العالم الشهير أبو جعفر النحاس، والحافظ المظفر الفارسي، وخالفهم في ذلك بعض المحققين، فأنكروا وجود المنسوخ

في القرآن. وقد اتفق الجميع على إمكان ذلك، وعلى وجود آيات من القرآن ناسخة لأحكام ثابتة في الشرائع السابقة، ولأحكام ثابتة في صدر الإسلام.

ولتوضيح ما هو الصحيح في هذا المقام نقول: إن نسخ الحكم الثابت في القرآن يمكن أن يكون على أقسام ثلاثة:

١ - إنَّ الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بالسنّة المتواترة، أو بالإجماع القطعي الكاشف عن صدور النسخ عن المعصوم عليه السلام وهذا القسم من النسخ لا إشكال فيه عقلاً ونقلاً، فإن ثبت في مورد فهو المتبع، وإلّا فلا يلتزم بالنسخ، وقد عرفت أن النسخ لا يثبت بخبر الواحد.

٢ - إنَّ الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بآية أخرى منه ناظرة إلى الحكم المنسوخ، ومبيّنة لرفعه، وهذا القسم أيضاً لا إشكال فيه، وقد مثّلوا لذلك بآية النجوى.

٣ - إنَّ الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بآية أخرى غير ناظرة إلى الحكم السابق، ولا مبيّنة لرفعه، وإنَّما يلتزم بالنسخ لمجرد التنافي بينها فيلتزم بأنَّ الآية المتأخرة ناسخة لحكم الآية المتقدمة.

والتحقيق: أنَّ هذا القسم من النسخ غير واقع في القرآن، كيف وقد قال الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ

اللَّهِ لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿١﴾.

ولكن كثيرًا من المفسرين وغيرهم لم يتأملوا حق التأمل في معاني الآيات الكريمة، فتوهموا وقوع التنافي بين كثير من الآيات، والتزموا لأجله بأن الآية المتأخرة ناسخة لحكم الآية المتقدمة، وحتى أن جملة منهم جعلوا من التنافي ما إذا كانت إحدى الآيتين قرينة عرفية على بيان المراد من الآية الأخرى، كإلخااص بالنسبة إلى العام، وكالمقيد بالإضافة إلى المطلق، والتزموا بالنسخ في هذه الموارد وما يشبهها، ومنشأ هذا قلة التدبر، أو التسامح في إطلاق لفظ النسخ بمناسبة معناه اللغوي، واستعماله في ذلك وإن كان شائعاً قبل تحقق المعنى المصطلح عليه، ولكن إطلاقه - بعد ذلك - مبني على التسامح لا محالة.

مناقشة الآيات المدعى نسخها:

وعلى كل فلا بد لنا من الكلام في الآيات التي ادعى النسخ فيها. ونذكر منها ما كان في معرفة وقوع النسخ فيه وعدم وقوعه غموض في الجملة. أمّا ما كان عدم النسخ فيه ظاهراً - بعدما قدمناه - فلا نتعرض له في المقام (وستعرض لذلك عند تفسيرنا الآيات إن شاء الله تعالى).

وليكن كلامنا في الآيات على حسب

(١) سورة النساء: الآية ٨٢.

ترتيبها في القرآن الكريم:

١ - ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعُفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢).

فعن ابن عباس وقتادة والسدي، أنّها منسوخة بآية السيف. واختاره أبو جعفر النحاس (٣). وآية السيف هو قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٤).

والالتزام بالنسخ - هنا - يتوقف على الالتزام بأمرين فاسدين:

الأول: أن يكون ارتفاع الحكم الموقت بانتهاؤه وقته نسخاً، وهذا واضح الفساد، فإن النسخ إنما يكون في الحكم الذي لم يصرح فيه لا بالتوقيت ولا بالتأييد. فإن الحكم إذا كان موقتا - وإن كان توقيته على سبيل الإجمال - كان الدليل الموضح لوقته، والمبين لانتهاؤه من القرائن الموضحة

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٣) في كتابه النسخ والمنسوخ: ص ٢٦ طبع المكتبة العلامة بمصر.

(٤) سورة التوبة: الآية ٢٩.

للمراد عرفاً، وليس هذا من النسخ في شيء. فإنَّ النسخ هو رفع الحكم الثابت الظاهر بمقتضى الاطلاق في الدوام وعدم الاختصاص بزمان مخصوص.

وقد توهم الرازي أنَّ من النسخ بيان الوقت في الحكم الموقت بدليل منفصل وهو قول بين الفساد، وأمَّا الحكم الذي صرح فيه بالتأييد، فعدم وقوع النسخ فيه ظاهر.

الثاني: أن يكون أهل الكتاب أيضًا ممن أمر النبي ﷺ بقتلهم، وذلك باطل، فإنَّ الآيات القرآنية الأمرة بالقتال إنما وردت في جهاد المشركين ودعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى وبالיום الآخر. وأمَّا أهل الكتاب فلا يجوز قتلهم إلا مع وجود سبب آخر من قتلهم للمسلمين، لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١).

أو إلقائهم الفتنة بين المسلمين، لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (٢).

أو امتناعهم عن إعطاء الجزية للآية المتقدمة، وأمَّا مع عدم وجود سبب آخر فلا يجوز قتلهم لمجرد الكفر، كما هو صريح

الآية الكريمة.

وحاصل ذلك: أنَّ الامر في الآية المباركة بالعفو والصفح عن الكتابيين، لأنَّهم يودون أن يردوا المسلمين كفارا - وهذا لازم عادي لكفرهم - لا ينافيه الأمر بقتلهم عند وجود سبب آخر يقتضيه، على أنَّ متوهم النسخ في الآية الكريمة قد حمل لفظ الأمر من قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (٣). على الطلب، فتوهم أنَّ الله أمر بالعفو عن الكفار إلى أن يأمر المسلمين بقتلهم فحملة على النسخ.

وقد اتضح للقارئ أنَّ هذا - على فرض صحته - لا يستلزم النسخ ولكن هذا التوهم ساقط، فإنَّ المراد بالأمر هنا الأمر التكويني وقضاء الله تعالى في خلقه، ويدلُّ على ذلك تعلُّق الإتيان به، وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤).

وحاصل معنى الآية الأمر بالعفو والصفح عن الكتابيين بوجههم هذا، حتى يفعل الله ما يشاء في خلقه من عز الإسلام، وتقوية شوكته، ودخول كثير من الكفار في الإسلام، وإهلاك كثير من غيرهم، وعذابهم في الآخرة، وغير ذلك مما يأتي الله

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

به من قضائه وقدره.

٢ - ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

فقد نُسب إلى جماعة منهم ابن عباس، وأبو العالية، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، والسدي، وزيد بن أسلم أن الآية منسوخة^(٢) واختلف في ناسخها فذكر ابن عباس أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(٣)

وذهب قتادة إلى أن النسخ قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٤)

كذلك ذكر القرطبي^(٥)، وذكروا في وجه النسخ أن النبي ﷺ وجميع المسلمين كانوا مخيرين في الصلاة إلى أية جهة شأوا وإن كان رسول الله ﷺ قد اختار من الجهات جهة بيت المقدس، فنسخ ذلك بالأمر بالتوجه إلى خصوص بيت الله الحرام.

ولا يخفى ما في هذا القول من الوهن والسقوط، فإن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾^(٦).

(١) سورة البقرة: الآية ١١٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ج ١، ص ١٥٧-١٥٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٠.

(٥) تفسير القرطبي: ج ٢، ص ٧٤.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

صريح في أن توجهه إلى بيت المقدس كان بأمر من الله تعالى لمصلحة كانت تقتضي ذلك، ولم يكن لاختيار النبي ﷺ في ذلك دخل أصلا.

والصحيح أن يقال في الآية الكريمة إنها دالة على عدم اختصاص جهة خاصة بالله تعالى، فإنه لا يحيط به مكان، فأينما توجه الإنسان في صلاته ودعائه وجميع عباداته فقد توجه إلى الله تعالى. ومن هنا استدلل بها أهل البيت  على الرخصة للمسافر أن يتوجه في نافلته إلى أية جهة شاء، وعلى صحة صلاة الفريضة فيما إذا وقعت بين المشرق والمغرب خطأ، وعلى صحة صلاة المتحير إذا لم يعلم أين وجه القبلة. وعلى صحة سجود التلاوة إلى غير القبلة، وقد تلاها سعيد بن جبيرة رضي الله عنه لما أمر الحجاج بذبحه إلى الأرض^(٧) فهذه الآية مطلقة، وقد قيدت في الصلاة الفريضة بلزوم التوجه فيها إلى بيت المقدس تارة، وإلى الكعبة تارة أخرى، وفي النافلة أيضا في غير حال المشي على قول. وأمّا ما في بعض الروايات من أنها نزلت في النافلة فليس المراد أنها مختصة بذلك (وقد تقدّم أن الآيات لا تختص بموارد نزولها).

وجملة القول: أن دعوى النسخ في

(٧) تفسير القرطبي: ج ٢، ص ٧٥.

الآية الكريمة يتوقف ثبوتها على أمرين:
الأول: أن تكون واردة في خصوص صلاة
الفريضة، وهذا معلوم بطلانه، وقد وردت
روايات من طريق أهل السنة في أنها نزلت
في الدعاء وفي النافلة للمسافر، وفي صلاة
المتحير، وفي من صلى إلى غير القبلة خطأ^(١)
وقد مرَّ عليك - آنفاً - استشهاد أهل
البيت عليهم السلام بالآية المباركة في عدة موارد.

الثاني: أن يكون نزولها قبل نزول الآية
الأمرة بالتوجه إلى الكعبة وهذا أيضاً غير
ثابت، وعلى ذلك فدعوى النسخ في الآية
باطلة جزماً. وفي بعض الروايات الماثورة
عن أهل البيت عليهم السلام التصريح بأن الآية
المباركة ليست منسوخة. نعم قد يراد من
النسخ معنى عاماً شاملاً للتقييد، فإذا أريد
به ذلك في المقام فلا مانع منه، ولا يبعد أن
يكون هذا هو مراد ابن عباس من النسخ
فيها، وقد أشرنا إليه فيما تقدّم.

٣ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ
بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾^(٢). فقد ادعى أنها
منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا
أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ
بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾^(٣).

(١) تفسير الطبري: ج ١، ص ٤٠٠ - ٤٠٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٨.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٥.

ومن أجل ذلك ذهب الجمهور من
أهل السنة إلى: أن الرجل يقتل المرأة من
غير أن يرد إلى ورثته شيء من الدية^(٤)
وخالف في ذلك الحسن وعطاء، فذهبا
إلى: أن الرجل لا يقتل المرأة. وقال الليث:
إذا قتل الرجل امرأته لا يقتل بها خاصة^(٥)
وذهبت الإمامية إلى: أن ولي دم المرأة مخير
بين المطالبة بديتها، ومطالبة الرجل القاتل
بالقصاص، بشرط أداء نصف دية الرجل.
والمشهور بين أهل السنة: أن الحر لا يقتل
بالعبد، وعليه إجماع الإمامية، وخالفهم في
ذلك أبو حنيفة، والثوري، وابن أبي ليلى،
وداود، فقالوا: إن الحر يقتل بعبد غيره^(٦)،
وذهب شواذ منهم إلى: أن الحر يقتل بالعبد
وإن كان عبد نفسه^(٧).

والحق: أن الآية الأولى محكمة ولم يرد
عليها ناسخ، والوجه في ذلك: أن الآية
الثانية مطلقة من حيث العبد، والحر،
والذكر، والأنثى فلا صراحة لها في حكم
العبد، وحكم الأنثى، وعلى كل فإن لم تكن

(٤) تفسير القرطبي: ج ٢، ص ٢٢٩.

(٥) تفسير ابن كثير: ج ١، ص ٢١٠.

(٦) المصدر نفسه: ص ٢٠٩. وقال ابن كثير:
قال البخاري وعلي بن المديني، وإبراهيم
النخعي، والثوري في رواية عنه: ويقتل السيد
بعبده.

(٧) أحكام القرآن للجصاص: ج ١،

ص ١٣٧.

الآية في مقام البيان من حيث خصوصية القتال والمقتول، بل كانت في مقام بيان المساواة في مقدار الاعتداء فقط، على ما هو مفاد قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(١).

كانت مهمة ولا ظهور لها في العموم لتكون ناسخة للآية الأولى، وإن كانت في مقام البيان من هذه الناحية - وكانت ظاهرة في الإطلاق وظاهرة في ثبوت الحكم في هذه الأمة أيضاً، ولم تكن للأخبار عن ثبوت ذلك في التوراة فقط - كانت الآية الأولى مقيدة لإطلاقها، وقرينة على بيان المراد منها، فإن المطلق لا يصلح لأن يكون ناسخاً للمقيد وإن كان متأخراً عنه، بل يكون المقيد قرينة على التصرف في ظهور المطلق على ما هو الحال في المقيد المتأخر، وعلى ذلك فلا موجب للقول بجواز قتل الحر بالعبد.

وأما الرواية التي رووها عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله: «المسلمون تتكافأ دماؤهم» فهي - على تقدير تسليمها - مخصصة بالآية، فإن دلالة الرواية على جواز قتل الحر بالعبد إنما هي بالعموم.

ومن البين أن حجية العام موقوفة على عدم ورود المخصص عليه المتقدم منه

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٤.

والتأخر. وأما ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله بطريق الحسن عن سمرة فهو ضعيف السند، وغير قابل للاعتداد عليه. قال أبو بكر بن العربي: «ولقد بلغت الجهالة بأقوام أن قالوا: يقتل الحر بعبد نفسه» ورووا في ذلك حديثاً عن الحسن عن سمرة قال النبي صلى الله عليه وآله: «من قتل عبده قتلناه»، وهذا حديث ضعيف^(٢).

أقول: هذا مضافاً إلى أنها معارضة برواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً قتل عبده متعمداً، فجلده النبي صلى الله عليه وآله ونفاه سنة، ومحا سهمه من المسلمين، ولم يقده به^(٣). وبما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وبما رواه جابر عن عامر عن علي عليه السلام: «لا يقتل حر بعبد»^(٤)، وبما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن أبا بكر وعمر كانا لا يقتلان الحر بقتل العبد^(٥).

[البيان في تفسير القرآن]

(٢) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي: ج ١، ص ٢٧.

(٣) سنن البيهقي: ج ٨، ص ٣٦.

(٤) المصدر نفسه: ص ٣٤-٣٥.

(٥) المصدر نفسه: ص ٣٤.

مفارقات في السَّمِّ القرآني

العلامة السيّد جعفر مرتضى العامليّ

الأول قاصرين في فن الكتابة، عاجزين في الإملاء؛ لأميّتهم، وبدأوتهم، وبعدهم عن العلوم والفنون، كانت كتابتهم للمصحف سقيمة الوضع، غير محكمة الصنع؛ فجاءت الكتب الأولى مزيجاً من أخطاء فاحشة، ومناقضات متباينة في الهجاء والرسم..^(٢)

وستأتي إشارة الإمام الباقر (عليه الصلاة والسلام)، إلى حروف أخطأت بها الكتابة، وتوهّمها الرجال..

وقال الأبياري: قال ابن قتيبة، وهو يناقش بعض القراءات:

«ولست تخلو هذه الحروف، من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب، أو أن تكون غلطاً من الكاتب.. فإن كانت على مذهب النحويين؛ فليس هاهنا لحن بحمد الله.

إنّ الذين كتبوا المصاحف، التي أرسلت إلى الأقطار، في عهد عثمان، وكذلك الذين كتبوا سائر المصاحف الشخصية، من الصحابة، أو غيرهم - وهي كثيرة - إنّ هؤلاء كانوا لا يجيدون الكتابة، قال ابن خلدون: «.. كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الأحكام، والإتقان، والإجادة ولا إلى التوسط؛ لمكان العرب من البداوة، والتوحش، وبعدهم عن الصنائع.

وانظر ما وقع - لأجل ذلك - في رسمهم المصحف، حيث رسمه الصحابة، بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم، ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها..^(١)

وقال ابن الخطيب: «.. لما كان أهل العصر

(٢) التمهيد في علوم القرآن: ج ١، ص ٢٣٠ عن: الفرقان لابن الخطيب: ص ٥٧.

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٩. وراجع: القرآن تأليف بلاشير: ص ٣١ و ٣٣ و ٩٤ و ٩٥ و ١٠٧.

وإن كانت خطأ في الكتابة، فليس على الله، ولا على رسوله ﷺ، جناية الكاتب في الخط.

ولو كان هذا عيباً يرجع على القرآن؛ لرجع عليه كل خطأ وقع في كتابة المصحف، من طريق التهجي.

فقد كتب في الإمام: «إنَّ هذن لساحران»^(١) بحذف ألف التثنية.

وكذلك ألف التثنية تحذف في هجاء هذا المصحف في كل مكان..

وكتب كتاب المصحف: الصلوة، والزكوة، والحيوة، بالواو، واتبعناهم في هذه الحروف خاصة على التيمن بهم»^(٢).

ثم أضاف الأبياري: «فنحن إذن، بين رسم لكتاب، كان ما رسموا آخر الجهد عندهم. ولقد حفظ الله كتابه بالحفظة القارئ، أكثر مما حفظه بالكتّاب الكاتبين. ثم كانت إلى جانب الحفظ حجة أخرى على الرسم، وهي لغة العرب، أقامت الرسم لتدعيم الحفظ، ولم تقم الحفظ لتدعيم الرسم إلخ..»^(٣). انتهى.

بل إنَّ عثمان نفسه، الذي قام بمشروع توحيد المصاحف، قد اعترف بذلك أيضاً؛

(١) سورة طه: الآية ٦٣.

(٢) تأويل مشكل القرآن: ص ٤٠ و ٤١.

(٣) تاريخ القرآن للأبياري: ص ١٤٥-١٤٦.

فقد روي: أنَّه لما كتبت المصاحف، وعرضت عليه، وجد فيها حروفاً من اللحن، ولكنه لم يوافق على تغييرها، وقال: «إنَّ في المصحف لحناً»، فلما طلب إليه تغييره، قال: دعوه، أو قال: «.. لا تغيروها؛ فإنَّ العرب ستغيرها، أو قال: ستعربها بألستها. لو كان الكاتب من ثقيف، والملي من هذيل، لم توجد فيه هذه الحروف».

وفي نص آخر أنَّه قال: دعوه؛ لا يجلل حراماً، ولا يحرم حلالاً^(٤).

ويلاحظ: أنَّه قد كان ثمة عناية خاصة بالمحافظة على الرسم القرآني الأول، رغم ما فيه من المفارقات والأخطاء في الكتابة والرسم، وقد علل ذلك العلامة الشيخ

(٤) راجع: الطرائق: ص ٤٩٠-٤٩١ والتفسير الكبير: ج ٢٢ ص ٧٤ وج ١١ ص ١٠٦ عن عثمان وعائشة.

والإتقان: ج ١، ص ١٨٣ و ١٨٤ عن ابن الأنباري، وابن أشته في المصاحف وكنز العمال: ج ٢، ص ٣٧٢ عن ابن أبي داود، وابن الأنباري، وذكر أربع روايات. ومناهل العرفان: ج ١، ص ٣٧٩ وتاريخ القرآن للأبياري: ص ١١٨ ودلائل الصدق: ج ٣ قسم ١ ص ٩٦ عن تفسير الثعلبي، والتمهيد في علوم القرآن: ج ١، ص ٣١٦ عن المصاحف ص ٣٢/٣٣. ومحاضرات الأدباء، المجلد الثاني الجزء الرابع ص ٤٣٤ وعن معالم التنزيل. وراجع أيضاً: غرائب القرآن، بهامش الطبري: ج ٦، ص ٢٣ عن عثمان وعائشة ولباب التأويل: ج ١، ص ٤٢٢.

محمّد هادي معرفة بقوله: «.. وجود أخطاء إملائية لم تتبدل، يفيد المسلمين في ناحية احتجاجهم بها على سلامة كتابهم من التحريف عبر القرون، إذ إنّ أخطاء إملائية، لا شأن لها، وكان جديرًا أن تمد إليها يد الإصلاح، ومع ذلك بقيت سليمة عن التغيير..»^(١).

نماذج يسيرة:

وإذا ما أردنا أن نذكر بعض الشواهد، والموارد التي تجلّى فيها ضعف الكتاب والنسخ في أمر الكتابة، ثم ما وقعوا فيه من اشتباهات، أو مخالفات لا مبرر لها، فإننا نجد: أن ذلك يتجلّى في نواحٍ عديدة، نذكر منها:

ألف: ما كنت بنحويين مختلفين..

أي: إنهم قد كتبوا الكلمة الواحدة على صورة في موردٍ، ثم كتبوها على صورة أخرى في مورد آخر..

ونذكر هنا على سبيل المثال كلمة:

(فيما) فإنّها كتبت موصولة (فيما)، إلّا في اثني عشر موردًا، فإنّها كتبت فيها مفصولة (في ما).

(مما) كتبت موصولة، إلّا في ثلاثة مواضع، كتبت فيها مفصولة (من ما).

(١) التمهيد في علوم القرآن: ج ١، ص ٣١٧.

(إنّا) موصولة، إلّا في مورد في سورة الحج، ثم موردين في سورة لقمان.
(إنّا) موصولة، إلّا في الأنعام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾.
(لكي لا) مفصولة، إلّا في ثلاثة مواضع.

(بئس ما) كسابقتها.

(أين ما) مفصولة، إلّا في أربعة مواضع..

(ألا) موصولة، إلّا في عشرة مواضع..
(إلّا) موصولة مدغمة، بإسقاط النون في جميع القرآن..

(ألّم) موصولة مدغمة إلّا في موضعين.
(إلّم) موصولة مدغمة في سورة هود، مفصولة مقطوعة في القصص..

إلى غير ذلك من الموارد الكثيرة، التي لا مجال لإيرادها هنا^(٢).

باء: إننا نجدهم في رسمهم للمصحف، يحذفون الألف التي تقع في أواسط الكلمات، الأمر الذي من شأنه أن يوجب اختلافًا كثيرًا في كيفية قراءة

(٢) غرائب القرآن للنيسابوري، بهامش الطبري: ج ١، ص ٣٥-٢٩. وفيه موارد كثيرة أخرى فليراجع. والمقنع للداني من ص ٣٠ حتى ص ٩٢. وإتحاف فضلاء البشر: ج ١، ص ٣٢٩-٣٣١.

(مهذَّباً)؛ لِأَنَّهَا هَكَذَا رَسَمْتُ^(٦). مع أنَّ الصَّحِيحَ: مهاداً..

وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَالبَصْرِيُّونَ: «وَإِذَا وَعَدْنَا مُوسَى»؛ لِأَنَّهَا هَكَذَا رَسَمْتُ، وَقَرَأَهَا الْبَاقُونَ: وَاعَدْنَا^(٧).

وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ كَثِيرٍ: بَلْ أَذْرَكَ؛ لِأَنَّهَا هَكَذَا رَسَمْتُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: (إِذَا رَكَ)^(٨).

وَقَرَأَ نَافِعٌ فِي غِيَابَاتِ الْجَبِّ، زَعَمًا مِنْهُ: أَنَّ أَلْفِي الْوَسْطِ قَدْ أَسْقَطَا فِي الرَّسْمِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: غِيَابَةُ الْجَبِّ^(٩).

وَقَرَأَ عِثْمَانُ: وَرِيَّاشًا - وَلَمْ يَقُلْ: وَرِيَّشًا - وَلِبَاسِ التَّقْوَى^(١٠). وَلَعَلَّهُ زَعَمَ: أَنَّ أَلْفَ الْوَسْطِ قَدْ سَقَطَتْ أَيْضًا.

كَمَا أَنَّهُمْ قَدْ رَسَمُوا: وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ..

(٦) التمهيد: ج ٢، ص ١٩ عن شرح مورد الظمآن: ص ١٢٧ وراجع حجة القراءات: ص ٤٥٣.

(٧) التمهيد: ج ٢، ص ١٩؛ ومجمع البيان: ج ١، ص ١٠٨ وراجع: حجة القراءات: ٩٦. (٨) التمهيد: ج ٢، ص ٢٠؛ والكشف عن وجوه القراءات: ج ٢، ص ١٦٤، وراجع: حجة القراءات: ص ٥٣٥.

(٩) التمهيد: ج ٢، ص ٢٠؛ والكشف عن وجوه القراءات: ج ٢، ص ٥٠ وراجع: حجة القراءات: ص ٣٥٥.

(١٠) حياة الصحابة: ج ٣، ص ٥٠٦؛ عن كنز العمال: ج ٢، ص ١٣٧ عن ابن جرير، وابن أبي حاتم.

الْكَلِمَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَنَذَكَرَ مِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ: إِنَّ الْمَوْجُودَ فِي الرَّسْمِ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَأَمْنَتَهُمْ) فَيَقْرَؤُهَا بَعْضُهُمْ: (لَأَمَانَاتِهِمْ)، وَيَقْرَؤُهَا آخَرُ: (لَأَمْنَتَهُمْ)^(١١).

وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ كَثِيرٍ: «وَمَا يَخَادَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ»؛ نَظَرًا إِلَى أَنَّ يَخَادَعُونَ كَتَبْتُ فِي صَدْرِ الْآيَةِ بِلَا أَلْفٍ، فَرَعَمُوهُمَا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ^(١٢).

وَقَرَأَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَمَعَاوِيَةُ، وَابْنُ مَسْعُودٍ: تَغَرَّبَ فِي عَيْنِ حَامِيَةٍ، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَمَّةٌ^(١٣) وَقَرَأَ أَيْضًا: نَفْسًا زَكِيَّةً، وَزَاكِيَةً^(١٤).

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾؛ فَقَدْ جَاءَ فِي الرَّسْمِ هَكَذَا: (حَرَم) بِلَا أَلْفٍ؛ فَقَرَأَهَا حَمْزَةً؛ وَالكَسَائِي، وَشُعْبَةُ: (حِرْم) بِكسر الحاء، وَسَكُونِ الرَّاءِ^(١٥).

وَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ: جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ

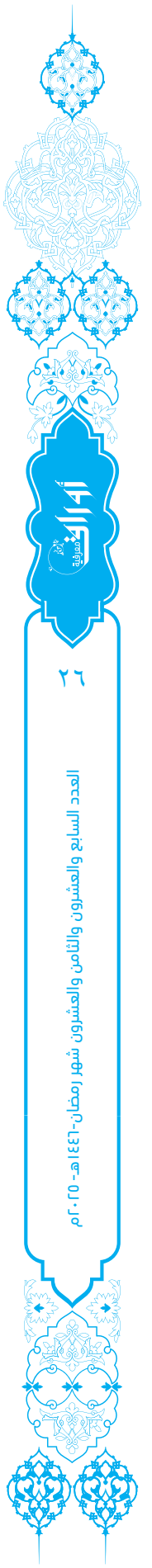
(١) مناهل العرفان: ج ١، ص ١٦٢.

(٢) التمهيد: ج ٢، ص ١٩ والكشف: ج ١ ص ٢٢٤. وراجع: الإتقان: ج ١، ص ٧٦ وراجع: حجة القراءات: ص ٨٧.

(٣) مشكل الآثار: ج ١، ص ١١٠-١١٥ والفائق: ج ١، ص ٣٢٠.

(٤) مشكل الآثار: ج ١، ص ١٩٩.

(٥) التمهيد: ج ٢، ص ١٩ عن شرح مورد الظمآن: ص ١٢٦.



مع أنَّ الصحيح: اختلاف ورسموا أيضًا: علم الغيوب، والصحيح: علَّام^(١).
وقال رجل لابن مسعود: كيف تعرف هذا الحرف: ماء غير ياسن أم آسن. قال: كل القرآن قد قرأت؛ قال: إني لأقرأ للفصل أجمع في ركعة واحدة إلخ^(٢).
ومن أراد الاطلاع على الموارد التي حذفت فيها الألف فليراجع كتاب المقنع للداني من ص ١٠ حتى ص ٣٠ وإتحاف فضلاء البشر ج ١ ص ٨٤ فما بعدها وذكر فيها أيضًا موارد حذف الياء والواو بعد ذلك أيضًا، وليراجع أيضًا: كتاب النشر في القراءات العشر وغير ذلك من الكتب، التي تكفلت ببيان القراءات المختلفة.
جيم: وثمة تغييرات - بل أخطاء - فاحشة أخرى، نضيفها إلى ما تقدم، للتدليل على ما نقول، وحتى لا يبقى أي شك أو ريب في صحة ما نذهب إليه، ونذكر منها الأمثلة التالية:

الرسم الموجود وهو خطأ	الرسم الصحيح	الرسم الموجود وهو خطأ	الرسم الصحيح
بأييد	بأيّد	أصحاب لئكة	أصحاب الأيكة
لا أذبحنه	لأذبحنه	وجاء بالنبيين	وجيء
جزاؤا الظالمين	جزاء الظالمين	ينؤم	يا بن أمّ
يأتيهم أنبؤا	أنباء	لا أوضعوا	لأوضعوا
بالغداوة	بالغداة	الضعفوا	الضعفاء
لا يائس	لا ييأس	لإيلف قريش، إيلافهم	لإيلاف قريش، إيلافهم
ولا تقولن لشيء	لشيء		

إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف والخلاف مع ما هو الرسم الصحيح، والمعترف به لدى جميع الناس.. وقد ذكر العلامة الشيخ محمّد هادي معرفت في كتابه القيم، بعض النماذج لما رسم تارة صحيحًا، وأخرى خطأ^(٣)، فليراجعه من أراد.

[حقائق هامة حول القرآن الكريم]

(١) التمهيد: ج ١، ص ٣٢٣ و ٣٢٤.

(٢) مسند أحمد: ج ١، ص ٤١٢.

(٣) التمهيد: ج ١، ص ٣٢٥ و ٣٢٦.



متى يمن الله على المستضعفين؟

العلامة محمد جواد مغنية

تَبْدِيلًا ^(١).

أبدًا، كل من سار على الدرب وصل مؤمنًا كان أو كافرًا.. أمّا جزاء الكفر والإيمان ففي يوم القيامة، وليس في هذه الحياة، فمن ركع للظالم خذله الله، وأوكله إلى من ظلمه حتى ولو صلى وصام وحج إلى بيت الله الحرام، لأنّه خذل الحق، ونصر الباطل، وما له في الآخرة من خلاق.

ومن ثار على الظلم وأهله، واستمات من أجل كرامته نصره الله سبحانه على الظالمين

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦٢.

المستضعفون في الأرض هم الذين يضطهدهم الأقوياء، ويتسلطون على أقواتهم ومقدراتهم ظلمًا وعدوانًا، والله (سبحانه) يمن عليهم بالحرية والخلاص من الاضطهاد إذا جاهدوا وثابروا واستماتوا من أجل حياتهم وكرامتهم تمامًا كما يمن (سبحانه) على المريض بالشفاء إذا استعمل العلاج الصحيح، وعلى الفلاح بالثمر إذا عمل واتقن.. إنّ الله سنة في خلقه، وهي أن تجري الأمور على أسبابها، والغايات على وسائلها: ﴿وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ

الطغاة، وإن كان كافرًا، لأنه التقى مع إرادة الله وأمره بهذا الجهاد والنضال..

ولا نرجع إلى التاريخ القديم لنستمد منه الشواهد على هذه الحقيقة، فإنَّ صمود الشعب الفيتنامي الأعزل أمام أعتى قوى الشر والفساد لدليل قاطع على أنَّ الله مع المظلوم المجاهد الصابر كائنًا من كان.

والخلاصة أنَّ الله لا يقاتل من أجل المستضعفين، ولكنه يقف معهم ويمدِّهم بعونه إذا قاتلوا وناضلوا مستهدفين الحق والعدل، والتحرّر من البغي والاستغلال، إنَّ الله مع هؤلاء لأنَّه مع كلِّ مجاهد وعامل من أجل الحياة. وتكلّمنا عن ذلك مفصلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

وتسأل: إنَّ الله سبحانه أغرق فرعون وقومه، ونجّى بني إسرائيل من عذابهم واضطهادهم، ومعنى هذا أنَّ الله يقاتل عن المستضعفين، بل جاء في الآية ٣٨ من سورة الحج: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢)؟
الجواب: انه تعالى أغرق فرعون وقومه لشركهم وتكذيبهم الرسول، وليس انتصاراً لبني إسرائيل تماماً كما أهلك قوم نوح وغيرهم من المشركين، فترتب على

ذلك خلاص المظلومين والمضطهدين من بني إسرائيل وغير بني إسرائيل، أما آية سورة الحج فالمراد بالذين آمنوا المجاهدون، أمّا الكسالى فهم على دين من قال لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(٣).

﴿وَنَجِّعَلَهُمْ أَتَمَّةً﴾ أي: نجعل منهم أنبياء ﴿وَنَجِّعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ونُمكنَ لهم في الأرض ﴿يَجْعَلُهُمُ اللَّهُ أَحْرَارًا بعد أن استعبدهم فرعون أمداً طويلاً: ﴿وَنُرِيْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ ضمير منهم يعود على بني إسرائيل، والمعنى أنَّ فرعون وملأه خافوا أن يذهب سلطانهم على يد رجل من بني إسرائيل، فاحتاطوا لذلك ولكن الله سبحانه أوقعهم فيما كانوا يحذرون.

[تفسير الكاشف: ج ٦، ص ٤٨-٤٩]

(١) سورة الرعد: الآية ١١.

(٢) سورة الحج: الآية ٣٨.

(٣) سورة المائدة: الآية ٢٤.



نَفْسَيْنِ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

٣ - في مغزى البسملة عند قراءة القرآن وسائر الأفعال

السيد محمد باقر السيستاني

وانفعال فيه جارٍ بإذنه ووفق سننه، ولئن كان هناك خيار للإنسان في أن يفعل أو يترك فإن فعله وتركه كله بإذن الله تعالى ومدده واستشار لسننه وللأسباب التي رتبها، وهو أمر واضح بالتأمل في حقيقة علاقة الله (سبحانه) الخالق بهذا المشهد وبما تضمّنه من الكائنات، كما تتضمن الآيات الشريفة بشكل متواتر التأكيد على هذا المعنى.

إذن كل شيء وكل فعل في هذه الحياة هو من الله سبحانه.

٢ - إن من المعلوم أن هوية الأشياء إنما

الإيضاح الثالث: في مغزى البسملة عند قراءة القرآن وسائر الأفعال، وهذه نكتة معرفية معنوية.

بيانها: أن ذكر اسم الله سبحانه عند الأقوال والأفعال استحضار لما هو الواقع، ولذا يكون هذا الأدب ملائماً لمقام الواقع والتكوين ملائمة فطرية مشهودة.

توضيحه بذكر أمرين:

١ - إن من الواضح أن هذا الكون والمشهد الكوني بجميع تفاصيله من صناعة الإله الخالق، فكل شيء فيه هو من صنعه وإبداعه، وكل فعل

هي جزء من هوية فاعليها، فكلّ من ابتكر شيئاً كان ابتكاره مقروناً باسمه، وكلّ مَنْ أَلَفَ كتاباً كان كتابه مقروناً بذكره، وكلّ مَنْ رسم لوحة فنية كانت اللوحة مضافةً إليه، وكلّ مَنْ أنجز شيئاً كان إنجازهُ جزءاً من شخصيته، وكلّ من أُولد وَلِداً فَإِنَّ هذا الولد منسوب إليه، ومن دون ذلك تكون الأشياء في هالة من الإبهام، كالكتاب الذي لا يُضاف إلى مؤلّفه، والولد الذي لا يُنسب إلى أبيه، والإنجاز الذي لا ينسب إلى فاعله. ولذلك يصحّ القول إنّ الإنجاز على وجه عام جزء من هوية الفاعل وشخصيته، كما أنّ الانتساب التكويني إلى الفاعل جزء من هوية الفعل في الشعور الفطري.

وعليه يتضح أنّ هذا الكون حيث كان بكلّ ما فيه من أشياء وأمور من صناعة الله سبحانه وإبداعه وخلقه وترتيبه وسننه فهو كلّهُ مقرون باسمه.

وعلى ضوء هذين الأمرين يتضح أنّ قرن كلّ شيء باسم الله سبحانه من قبيل ملائمة الأدب مع الواقع والتكوين، وهو ما يجعل هذا الأدب ملائماً للفطرة التي يجدها الإنسان بعد انتباهه إلى علاقة الأشياء والأفعال كلّها بالله سبحانه.

إذن الأشياء كلّها في هذا المشهد بكلّه وتماه هي من الله سبحانه، وإن كان قد

يخفى ذلك علينا من جهة شدة وضوح الأمر، لأننا جزء من هذا المشهد فلا ندرك واقعه إلّا إلى أن نعي ونرتقي بتفكيرنا إلى أفق أوسع، فهذا المشهد بسننه وكائناته وأفعاله التي نفعلها نحن من قراءة وكتابة وسير وتكلم وغيرها إنّها هو بالأدوات المخلوقة وبالسنن التي صنعها الله سبحانه وبالغرائز وبالترتيبات التي رتبها سبحانه لنا وكذلك غيرنا من الكائنات المختارة كالملائكة أو الجن، ولذلك فإنّه ما من فعل جميل أو عمل حسن إلّا وهو منسوب إلى الله سبحانه بنحو، قال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ

فَمِنْ اللَّهِ﴾^(١)، ولا يستلزم هذا المعنى الجبر، لأنّ للإنسان هامشاً من الاختيار على شرح وجداني فطري يأتي ذكره في محله، فلا نريد أن نجمع جميع النكات هنا.

الحاصل: أنّ كلّ شيء هو منسوب إلى الله سبحانه ومقرون به تعالى، فجاء ذكر اسم الله تعالى عند القول والفعل الحسن والمباح، فالبسملة عند الأفعال والأقوال أدب ملائم لمقتضى الحال، فإنّ الأشياء حقّاً كلّها من الله تعالى، ونحن لو فرضنا أنفسنا خارج الوجود وتأمّلنا هذا الوجود الواسع وشهدنا حدوث هذا الوجود وأن الله سبحانه أوجده بأنّ جمعت لنا هذه الصناعة

(١) سورة النساء: الآية ٧٩.

الإلهية في ملايين السنين، ولخصّت لنا وقربت لنا المسافة - مثلما في بعض المقاطع المرئية يقربون ويسرعون المقطع - فسوف نرى بشكل واضح علاقة الأشياء بالله سبحانه وتعالى، لكن وجودنا في جزء ضئيل من مدة الكون ومعاشرتنا لظاهر الحياة هو الذي يؤدي إلى ضبابية رؤيتنا لهذا المشهد، فحتى أننا لو وصفنا المشهد بما ذكر فربما نصفه ألفاظاً ولا نستطيع أن ندرك ونعي كنهه وعمقه الذي يصفه الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾^(١)، فكل حمد حقاً فهو لله سبحانه، كل جميل فهو منه تعالى، فهو صانع هذا المشهد وصاحبه.

ويمكن أن نعبر بتعبير آخر عما تقدّم لمزيد التقريب والتوضيح، وهو أنّ كلّ شيء في هذا الكون حيث إنّهُ خلق الله سبحانه وصنّعه وبمده فكأنّه مكتوب عليه أنّه من صنع الله تعالى، وكلّ فعل في هذا الكون حيث إنّهُ جارٍ على استثمار السنن التي سنّها والمدد الذي يفيضه سبحانه فكأنّه مكتوب عليه أنّه يجري بإذن الله تعالى ومده، وكما تكتب على السلع أنّ هذا صنّع البلد الفلاني والشركة الفلانية فالأشياء كلّها بذاتها والأفعال كلّها تنتمي

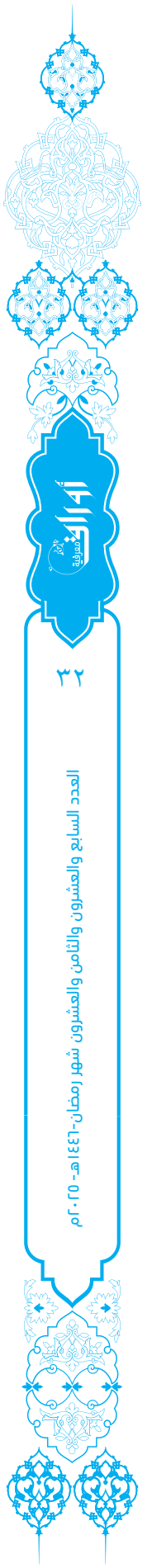
إلى الله سبحانه وتعالى، ولكن الكتابة عليها ليست ثبناً خارجياً، بل هي متمثلة في ذاتها نابعة من عمق وجودها من حيث ارتباطها بالله سبحانه واستمدادها منه كما قال عزّ من قائل: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢)، وقال عزّت آلاؤه: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَعْيُنُ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٣).

إذن كلّ شيء بذاته موسوم بسمه أنّه خلق الله سبحانه وصنّعه، فهذه الأشياء التي نراها كلها خلق الله تعالى، وكلّ الأفعال هي معبأة في الأشياء من خلال ما أودع فيها من قوى وإمكانات ومبادئ، فهي تكون فاعلة فيما تصدر عنها: إمّا بشكل ضروري ما لم تحلّ دونها الإرادة الإلهية كالأفعال الطبيعية وكالأفعال الغريزية للحيوانات، وإما بضميمة استثمار اختياري لتلك القوى والإمكانات، كما في أفعال الكائنات المختارة من الملائكة

(٢) سورة النمل: الآية ٨٨.

(٣) سورة لقمان: الآية ١٠-١١.

(١) سورة الروم: الآية ١٨.



والإنسان والجن فإنَّ أفعالها كلّها استثمار لقوى وإمكانات ومبادئ مودعة فيها قائمة بمدد فعلي من الله سبحانه وتعالى، ولذلك كان قرن اسم الله تعالى بكلِّ شيء تطابقاً بين الأدب والواقع وبين التشريع والتكوين.

إذن البسملة وتسمية الله تعالى عند كلّ فعل وقول وإنجاز هو أدب مناسب للمقتضى الحال.

ويتحصّل أنّ البسملة أدب، والآداب رموز للحقائق، فهي تأتي ملائمة معها، وقرن القول والفعل باسم الله تعالى هو موافقة مع الحقائق، لأنَّ الله سبحانه هو الخالق لهذا القائل والفاعل ولكلِّ ما يتمتّع به، ومنها النعم والسنن التي ينتفع بها في ممارسة الفعل أو القول، فهو إنّما يقول ويفعل بحول الله تعالى وقوته.

ويتفرّع على هذا التأسيس أمور ثلاثة:

١ - توافق الحث التشريعي على هذا الأدب مع التكوين فقد عرفنا أنّ البسملة كما ابتدئ بها في القرآن الكريم فإنَّها حسب الاستلزام منها وحسب دلالة النصوص النبوية أدب مستحب في مقام سائر الأفعال والأقوال وحيث عرفنا أنّ الأشياء والأفعال كلّها مضافة إلى الله تعالى نستنتج أنّ الترغيب التشريعي إلى هذا الأدب جاء موافقاً مع التكوين القائم للأشياء.

وعليه يندرج هذا الاستحباب التشريعي لأدب البسملة والتسمية في قاعدة ملحوظة في التشريعات الدينية وهي أنّها تأتي دائماً ملائمة مع ما فُطرت عليه الأشياء وترتبت عليه وهذه قاعدة سنوضحها في موضع مناسب لها إن شاء الله وننبّه على مصاديقها في محلّها.

وما يناسب ذكره في هذا السياق نهي الله سبحانه عن ظاهرة التنبّي.

وبيان ذلك: أنّ ظاهرة التنبّي كانت معروفة في الجاهلية، فكانوا ينسبون العبيد إلى مواليتهم، وكان الأمر جارياً على هذا المنوال، ومن هذا الباب نسبة زيد بن حارثة إلى النبي ﷺ فكانوا يقولون عليه زيد بن محمد ﷺ.

ولكنَّ الله سبحانه كره ذلك فأُنزل في سورة الأحزاب - التي نزلت في المدينة بعد استقرار وثبّت وضع المسلمين فيها بدفع آخر جهدٍ لمحوهم عن الوجود من خلال حرب الأحزاب -: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ * ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴿١﴾ فجعل سبحانه أنّ من القسط أن ينسب الناس إلى آبائهم، لأنَّ آباءهم هم الذين أولدوهم.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤-٥.

وقد كان هناك اهتمام كبير من الله سبحانه بهذا الموضوع، حتى إنه تعالى لأجل الاهتمام بهذا الشيء أوجب على النبي ﷺ الزواج من طليقة زيد الذي كان ابنه بالتبني رغماً عن رغبته ﷺ عن أن يتزوجها ولخرجه من ذلك؛ إذ ﷺ كان أرقى نفسياً من أن يرغب في مثل ذلك، أو يقدم عليه وكان إنساناً حياً، كما كان أحرص ما يكون على نقاء الرسالة من أن تشوبها شائبة من هذا القبيل، إذ كان المشركون والمنافقون يقولون في ما إذا فعل بأنَّ محمداً ﷺ يرغب في (زوجة ابنه) لأنهم يعتبرون زيда ابنه بالتبني^(١).

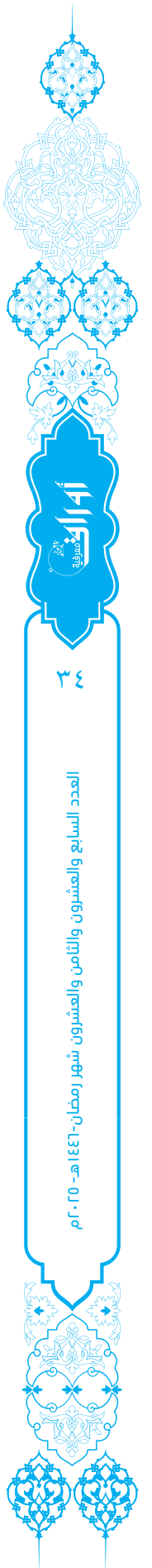
(١) وقد جاء في بعض روايات قصص أهل السنة أنه ﷺ جاءها مثلاً إلى الغرفة وراها بزينتها فأعجب بها وأخذت من نفسه مأخذاً! - حاشاه ﷺ عن مثل ذلك - كيف! وهو الذي ترك أجمل نساء العرب رغم أنه أصبح بمثابة الملك على الجزيرة العربية، بل جمع وعاشر عدة نساء أغلبهن من الأيامي والأرامل، ومنهن من لا تحمد أخلاقها ويصعب العيش معها أصلاً، حتى عوتبن كثيراً في الآيات الشريفة وهُددن بأنه سوف يطلقهن إذا أسأن التعامل معه ﷺ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (سورة التحريم: الآية ٥) أو كن يردن الدنيا وزينتها (سورة الأحزاب: الآية ٢٨)، وقد نُهين نواهٍ شديدة عن أمور غير ملائمة ممن تكون في موقعهن مثل تبرجهن تبرج الجاهلية الأولى،

فجاءت الآية تلزمه بالزواج من طليقة زيد، وبعد أن تزوجها النبي ﷺ أبان الله سبحانه عن عذر نبيه ﷺ بالآية الشريفة: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾، ثم قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٢)، وهكذا نلاحظ الإصرار على أن ينسب الولد إلى أبيه، كما هو منسوب إليه تكويناً ليكون الانتماء والتشريع الذي ينظمه على وفق

ومن الملفت أنه لم يثن نساء أهل البيت ﷺ وبناته ﷺ عن مثلها وإن ذكرن في آية الجلباب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ (سورة الأحزاب: الآية ٥٩).

فالمقصود أن النبي ﷺ رغم أنه قد أصبح سيد العرب بلا منازع، تتقرب الأقوام بأن تهدي بناتها وتقدمها إليه، تجنب عن أن يتوسع في هذا الشأن واكتفى بنسائهن على هذا المثال، فكيف يرغب في زوجة ابنه، ولكن من الغريب أن يطرح الطعن على النبي ﷺ في مثل هذا الأمر أو في تعدد أزواجه من غير التفات إلى المنهج الملائم والموازن المناسبة في تأمل هذا الموضوع.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.



التكوين، فذاك هو الموافق مع القسط والعدل لما فيه من مراعاة حق الأب والأدب معه، فهذا مثال لموافقة التشريع مع التكوين.

٢ - موافقة هذا الأدب مع الحقوق الفطرية الأخلاقية، وذلك بأن الله سبحانه هو صاحب الحق على الإنسان في تيسير هذا القول والفعل كما هو ظاهر، فكان من الأدب استحضر هذا المعنى إيفاء بهذا الحق وشكراً عملياً لله سبحانه فيما يسره وأنعم به على الإنسان وتنبهها له على مواضع نعم الله سبحانه عليه، حيث إن الإنسان الذي ينشأ في بيئة هي في أصلها وكل جزء منها نعمة من الله سبحانه يغفل عن هذا البعد والاستحقاق الملائم له، كما يغفل بعض الأولاد عن مواضع إنعام الوالدين عليهم من جهة نشأته في بيئة مفعمة بالإنعام، ولو فقد الإنسان أحد والديه أو اختلف حالهما شعر بعظم النعمة التي كان ينالها منها.

وقد نبّه الله سبحانه الإنسان على عظم نعمه في هذه الحياة وعتب عليه غفلته وكفرانه قال سبحانه: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به

مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿١﴾، كما نبّه الإنسان على أنه سوف يشعر بالنعمة إذا فقدوها: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢﴾.

٣ - موافقة هذا الأدب مع سنن البركة في الأعمال، والبركة هي النماء المترتب على العمل وآثاره الإيجابية والبناءة في هذه الحياة وما بعدها، وقد ضرب الله سبحانه مثلاً للعمل المبارك الحكيم قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٢ - ٣٤.

(٢) سورة القصص: الآية ٧١ - ٧٣.

الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١﴾، وعليه
فإنَّه متى كان فعل الإنسان مبنياً على الحقائق
الماثلة والمبادئ الأخلاقية الفاضلة جارياً
وفق سنن الاستحقاق والأدب والشكر،
فإنَّه يوجب نهاءً وبركةً وآثاراً مثلى محمودة
فهو كشجرة طيبة، وبذلك يكون ذكر
البسملة والتسمية قبل القول والفعل موجباً
البركة العمل لموافقته مع الحقائق والحقوق
على ما بيّناه، وبمجموع ما ذكرناه في هذا
الإيضاح ظهر أنَّ سنن التكوين والتشريع
والنهاء والبركة كلّها يرتبط بعضها ببعض
ارتباطاً وثيقاً، والبسملة مثال لهذه القاعدة
العامّة.

[مجموعة مقالات منشورة إلكترونياً]

مقياس علمي أصيل تزان في ضوءه حقائق القراءات

د. محمد
حسين الصغير

- كما اختلف في مصادر القراءات (كوفي)، (ت: ١٨٨ هـ).
- ومنابعها، فقد اختلف في القراء وعددهم، وتضاربت الآراء في منزلتهم وشهرتهم، فكان منهم السبعة، والعشرة، والأربعة عشر، وكان اعتبارهم يتردد بين الأقاليم تارة، وبين الشهرة تارة أخرى، وبينهما في أغلب الأحيان، وقد تحل المنزلة العلمية مكان الشهرة حيناً، وقد يكون العكس هو المطرد، وقد تتحقق الشهرة عند باحث، وتنتفي عند باحث غيره، وهكذا ...
- وقد كان مشاهير القراء قبل ابن مجاهد (ت: ٣٢٤ هـ) على النحو الآتي:
- ١ - عبد الله اليحصبي، المعروف بابن عامر (شامي) (ت: ١١٨ هـ).
 - ٢ - عاصم بن أبي النجود (كوفي)، (ت: ١٢٧ هـ).
 - ٣ - عبد الله بن كثير الداري (مكي)، (ت: ١٢٩ هـ).
 - ٤ - أبو عمرو بن العلاء (بصري)، (ت: ١٥٤ هـ).
 - ٥ - نافع عبد الرحمن بن أبي نعيم (مدني)، (ت: ١٦٩ هـ).
 - ٦ - حمزة بن حبيب الزيات
- ٧ - يعقوب بن أبي إسحاق الحضرمي (بصري)، (ت: ٢٠٥ هـ).
- وقد حذف ابن مجاهد يعقوب من السبعة وأثبت مكانه علي بن حمزة (الكسائي الكوفي) (ت: ١٨٩ هـ) واعتبره من القراء السبعة. وهكذا كان.
- أمّا من عدّ القراء عشرة، فأضاف لهم زيادة على تسبيع ابن مجاهد وتعيينه لهم، يزيد بن القعقاع (ت: ١٣٠ هـ) ويعقوب الحضرمي (ت: ٢٠٥ هـ) وحلف ابن هشام (ت: ٢٢٩ هـ).
- ويبدو أنّ الكسائي (ت: ١٨٩ هـ) لم يكن معدوداً من القراء السبعة، وإنّما ألحقه ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة أو نحوها بدل يعقوب الحضرمي وقد كان السابع^(١).
- [تاريخ القرآن]

(١) أبو شامة، المرشد الوجيز: ١٥٣.

افلا تعقلون

واجب الاعتقاد

الْعَلَامَةُ الْحَلِيَّةُ

ولا يجوز أن يكون كذلك المحدث محدثاً وإلا افتقر إلى محدث آخر، فإمّا أن يتسلسل أو يدور، أو يثبت المطلوب، وهو إثبات مؤثر غير محدث، والتسلسل والدور باطلان، فثبت المطلوب.

[٢] ويجب أن يعتقد أنّه تعالى واجب الوجود، لأنّه لو كان ممكن الوجود لافتقر إلى مؤثر، فإمّا أن يدور، أو يتسلسل، أو ينتهي إلى واجب الوجود، وهو المطلوب.

[٣] ويجب أن يعتقد أنّه تعالى قديم، أزليّ، باق، أبديّ، لأنّه لو جاز عليه العدم لم يكن واجب الوجود، وقد ثبت أنّه واجب الوجود.

[٤] ويجب أن يعتقد أنّه تعالى قادر؛ لأنّه لو كان موجّباً لزم قدم العالم أو حدوثه تعالى، لاستحالة انفكاك المعلول عن علّته، وقد بينّا أنّ العالم محدث.

[٥] ويجب أن يعتقد أنّه تعالى عالم؛ لأنّه فعل الأفعال المحكمة المتقنة، وكلُّ مَنْ كان كذلك كان عالماً بالضرورة.

[٦] ويجب أن يعتقد أنّه تعالى حيّ، لأنّ معنى الحيّ هو الذي يصحُّ منه أن يقدر

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، الحمد لله على نعمائه، وصلى الله على سيّد رسله، وأشرف أنبيائه، محمّد المصطفى، وعلى المعصومين من أبنائه.

أمّا بعد: فقد بيّنت في هذه المقالة واجب الاعتقاد على جميع العباد، ولخصت فيها ما يجب معرفته من المسائل الأصولية على الأعيان، وألحقت بها بيان الواجب من أصول العبادات، والله الموفق للخيرات. فنقول:

[١] يجب على المكلف أن يعتقد أنّ الله تعالى موجود، لأنّه أوجد العالم بعد أن لم يكن، إذ لو كان العالم قديماً لكان إمّا متحرّكاً أو ساكناً، والقسمان باطلان:

أمّا الحركة فلا أنّ ماهيتها تستدعي المسبوقية بالغير، والتقديم لا يصحّ اقتضاء أن يكون مسبوقاً بالغير، فلا يعقل قدم الحركة.

وكذلك السكون، لأنّه عبارة عن الكون الثاني في المكان الأوّل، فيكون مسبوقاً بالكون الأوّل بالضرورة، والأزليّ لا يصحّ أن يكون مسبوقاً بغيره، فثبت حدوث العالم، فيجب أن يكون له محدث بالضرورة، وهو المطلوب.

ويعلم، وقد بينا أنه قادر، عالم، فيكون حيًا بالضرورة.

[٧] ويجب أن يعتقد أنه تعالى قادر على كلٍّ مقدور، وعالم بكلِّ معلوم؛ لأنَّ نسبة المقدورات والمعلومات إليه بالسَّوية، لأنَّ مقتضى إسناد الأشياء إليه هو الإمكان، وجميع الأشياء مشتركة في هذا المعنى، وليس علمه تعالى ببعض الأشياء أولى من علمه ببعض الآخر، فإمَّا أن لا يعلم شيئًا منها، وقد بينا استحالة، أو يعلم البعض دون البعض، وهو ترجيح من غير مرجح، أو يعلم الجميع، وهو المطلوب.

[٨] ويجب أن يعتقد أنه تعالى سميع، بصير، لأنَّه عالم بكلِّ معلومات، ومن جملتها المسمع والمبصر، فيكون عالمًا بهما، وهو معنى كونه سميعًا بصيرًا.

[٩] ويجب أن يعتقد أنه تعالى واحد، لأنَّه لو كان معه إله آخر لزم المحال، لأنَّه لو أراد أحدهما حركة الجسم، وأراد الآخر سكونه، فإمَّا أن يقعا معًا وهو محال، وإلَّا لزم اجتماع المتنافيين، وإمَّا أن لا يقعا معًا فيلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو باطل بالضرورة، أو يقع مراد أحدهما دون الآخر، وهو ترجيح من غير مرجح.

[١٠] ويجب أن يعتقد أنه تعالى مريد، لأنَّه أمر بالطاعة على جميع العباد فيكون

مريدًا لها؛ ولأنَّ نسبة الحدوث إلى جميع الأوقات بالسَّوية، فلا بدَّ من مخصَّص وهو الإرادة.

[١١] ويجب أن يعتقد أنه تعالى ليس بجسم، ولا جوهر، ولا عرض، وإلَّا لكان متحيِّزًا أو حالًا في المتحيِّز، فيكون محدثًا، وأنَّه تعالى يستحيل عليه الحلول في محلٍّ أو جهة، وإلَّا لكان مفتقرًا إليهما فلا يكون واجبًا، وأنَّه لا يتَّحد بغيره، لأنَّ الاتحاد غير معقول.

[١٢] ويجب أن يعتقد أنه تعالى غير مركب عن شيء، وإلَّا لكان مفتقرًا إلى جزئه، فيكون ممكنًا، وأنَّه تعالى يستحيل رؤيته، وإلَّا لكان في جهة، وقد بينا بطلانه، وأنَّه يستحيل عليه الحاجة وإلَّا لكان ممكنًا، وهو محال.

[١٣] ويجب أن يعتقد أنه تعالى حكيم، لأنَّه لا يفعل قبيحًا، ولا يخلُّ بالواجب، وإلَّا لكان ناقصًا، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. [١٤] ويجب أن يعتقد نبوَّة نبيِّنا محمد ﷺ، لأنَّه ظهر المعجز على يده، وادَّعى النبوَّة، فيكون نبيًّا حقًّا، والمقدِّمتان قطعتان.

ويجب أن يعتقد أنه معصوم ﷺ، وإلَّا لارتفع الوثوق عن اخباراته، فتبطل فائدة البعثة.

ويجب أن يعتقد أنه خاتم الرُّسل، لأنَّه معلوم بالضرورة من دينه ﷺ.

[١٥] ويجب أن يعتقد أنَّ الإمام الحقَّ من بعده عليّ بن أبي طالب ﷺ، لأنَّه ﷺ نصَّ عليه نصًّا متواترًا بالخلافة، لأنَّ الإمام يجب أن يكون معصومًا؛ لأنَّ الإمامة لطف لأنَّ الناس إذا كانوا لهم رئيس ومهيب مرشد، كانوا إلى الصَّلاح أقرب ومن الفساد أبعد، والأوَّل واجب على الله تعالى، فتعيَّن عليه تعالى نصب الإمام، وذلك الإمام لا يجوز أن يكون جائز الخطأ، وإلَّا لافتقر إلى إمام آخر، ويتسلسل، فثبت أنَّه معصوم، وغير عليّ بن أبي طالب ﷺ ممَّن ادَّعى فيه الإمامة بعد النبي ﷺ ليس بمعصوم بالإجماع، والأدلة في ذلك أكثر من أن تحصى.

[١٦] ويجب أن يعتقد أن يكون الإمام بعد عليّ بن أبي طالب ﷺ ولده الحسن، ثمَّ من بعده الحسين، ثمَّ عليّ، ثمَّ محمَّد، ثمَّ جعفر، ثمَّ موسى، ثمَّ عليّ، ثمَّ محمَّد، ثمَّ عليّ، ثمَّ الحسن، ثمَّ الخلف الصالح الحجة محمَّد المهدي؛ لأنَّ كلَّ إمام نصَّ على من بعده بالخلافة نصًّا متواترًا، ولأنَّ الإمام يجب أن يكون معصومًا، وغيرهم ليس بمعصوم بإجماع المسلمين، فتعيَّنت الإمامة فيهم ﷺ.

[١٧] ويجب أن يعتقد أنَّ الإمام

الحجة ﷺ حيٌّ موجود في كلِّ زمان بعد موت أبيه الحسن ﷺ؛ لأنَّ الزمان لا بدَّ أن لا يخلو من إمام معصوم، وغيره ليس بمعصوم بالإجماع، وإلَّا خلا الزمان عن الإمام مع وجود لطف واجب على الله تعالى في كلِّ وقت.

[واجب الاعتقاد على جميع العباد]



نظرية وحدة الوجود

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

والعقل والنبات والحيوان والروح والعقل متشابهة في حقيقتها وإن اختلفت في الظاهر والواقع المحسوس (الحالة الراهنة) فهي متماثلة في الحقيقة والجوهر، ولما كانت حقيقتها واحدة ففي عالم الإمكان كل شيء يمكن أن يتحوّل إلى نظيره بالضرورة والتغير، فالبذرة في الواقع والظاهر غير الشجرة التي تنشأ منها ولكنها في عالم الإمكان شجرة. فعالم الإمكان أوسع من عالم الواقع بكثير ويشمل الماضي والحاضر والمستقبل. أمّا عالم الواقع فيشمل الحاضر

أول من قال بهذه النظرية وشرحها بعض كهنة الديانة البرهمية الهندية وهم أصحاب فلسفة الويدانت. وقال بها أصحاب الفلسفة الإفلاطونية الحديثة من فلاسفة اليونان، وأخذها الفلاسفة المسلمون من مصدرها الهندي واليوناني وتوسعوا في شرحها أو توصلوا إليها بصورة مستقلة عن فلاسفة الهند واليونان وهو الأرجح، ودعا إليها عدد كبير من الشيعة والسنة وخلاصتها: أنّ الموجودات وجميع الأشياء والظواهر كالمادة والطاقة

والماضي. وأقدم مثلاً علمياً لتوضيح وتأيد نظرية وحدة الوجود: في السابق كان علماء الكيمياء يعرفون العنصر بأنه المادة التي لا يمكن تحليلها إلى أبسط منها، ولكن إنَّ علماء الكيمياء الآن يعلمون أنَّ المادة تتألف من ٩٦ عنصراً وبواسطة إطلاق أنواع خاصة من الإشعاع على أيِّ عنصر يمكن تحويله إلى عنصر آخر، مثلاً أمكن تحويل النروجين إلى الأوكسجين والبريليوم إلى كاربون والليثيوم إلى هليوم والبلاتين إلى ذهب وغير ذلك. والعناصر المشعة كاليورانيوم والراديوم بمرور الزمن تتحلل إلى عناصر أخرى. ويعرف العنصر الآن بأنه المادة التي لا يمكن تحليلها إلى مادتين أو أكثر بالطرق الاعتيادية. وسابقاً ظن العلماء أنَّ المادة لا تفنى ولا تستحدث وإن المادة منفصلة عن الطاقة. وأثبت العالم انيشتاين أنَّ المادة تكافئ الطاقة وأنها حقيقة واحدة وتتحول إحدهما إلى الأخرى^(١).

(١) وقد ذكر الفقيه والدكتور برهانين عقليين لنظرية وحدة الوجود في الجواب على قول الحكماء «الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد» ونصها:

١. أنَّ حضرة الحق سبحانه لا بد أن يكون احدي الذات احدي الصفات فإنه إن لم يكن كذلك يلزم التركيب والتركيب ملازم للإمكان والإمكان طارد للوجود ولا يجتمع معه فلو كانت فيه حيثيتان متبايتتان لكان

ونجد ثلاثة تفسيرات لهذه النظرية من ناحية علاقتها بالله:

(١) وحدة الوجود وتعدد الموجود:

من الصعب على الإنسان أن يدرك صلة الله بالموجودات بوضوح عن طريق الحواس والعقل. ولذلك لا بد من الاجمال وترك التفاصيل، وهذا الرأي للنظرية يرى أنَّ الموجودات على اختلافها هي حقائق موجودة لا ريب فيها ولكنها حقائق جزئية غير مطلقة أي: إنها حقائق متغيرة غير ثابتة على حالة واحدة، وشكل معين وصفات معينة وإن كانت لا تفنى فناء تاماً والأشياء في حقيقتها لا تخرج عن حقيقة الله لأنَّ الله تعالى حقيقة الوجود. والله يختلف عن الأشياء اختلافاً عظيماً في صفاته كما تختلف الموجودات فيما بينها اختلافاً عظيماً. فالاختلاف كبير بين الجهاد والنبات وبين النبات والحيوان وبين المادة والطاقة،

مركباً ولو كان مركباً لكان ممكناً ولو كان ممكناً لم يكن واجباً وهذا خلف.
٢. أن بين كلِّ علة ومعلول لا بد أن تكون سنخية ومناسبة بمعنى أن تكن بينهما جهة وحشية وبتلك الجهة والحشية يصدر هذا المعلول من تلك العلة فان لم يكن بينهما السنخية والاقضاء الخاص يلزم أن يؤثر كل شيء في كل شيء ومعروف أنه لولا السنخية بين العلة والمعلول لزم تأثير كل شيء في كل شيء.

وان كانت حقيقتها واحدة والعقل أقرب الأشياء إلى الله، والله غير منفصل عن الوجود، فالموجودات نشأت من الله والله لم ينفك عنها ولم ينزل عنها فهو خالقها وحافظها ومنظمها ومحركها ومغيرها، والله عالم بما يحدث في الوجود، وقادر عليه فيخلق الأشياء والحوادث بالطرق الطبيعية الاعتيادية وبطرق خارقة للطبيعة والعادة وهي المعجزات. وأحسن تعبير موجز عن هذا التفسير لوحدة الوجود قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «توحيدة تمييزه عن خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة»، وقد قال بنظرية وحدة الوجود وتعدد الموجود كهنة الديانة الهندية الواضعون الأول لهذه النظرية والأئمة الاثنا عشر العلويون عليهم السلام وعدد كبير من علماء الامامية منهم نصير الدين الطوسي والعلامة الحلي والسيّد حيدر الآملي والشيخ ميثم البحراني والسيّد محمّد باقر الداماد وصدر الدين الشيرازي ومحسن الفيض وعبد الرزاق اللاهيجي واستصوبها المرحوم الوالد الإمام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء وشرحها شرحاً وافياً في كتاب الدين والإسلام وكتاب الفردوس الأعلى واعتبرها متفقة والشرع الحنيف ومؤيدة له.

وقد عبر عن هذا الرأي احد كهنة فلسفة الويدانت الهندية عن هذه النظرية بما يلي:

هذا الكون كله ليس إلّا ظهوراً للوجود الحقيقي الأساسي وان الشمس والقمر وجميع جهات العالم وجميع أرواح الموجودات أجزاء ومظاهر لذلك الوجود المحيط المطلق. ان الحياة وجميع كيفياتها وصفاتها وحركاتها وأعمالها أشكال لتلك القوة الوحيدة الأصلية.

هذه القوة هي التي اشعلت الشمس فهي تتقد ناراً كحزمة الحطب وتهبنا الحرارة والنور وان السحاب لا يمطر بل انها هي تلك العلة الأساسية التي تمطر بواسطة السحاب، تتقارب الموجودات وتتكاثر ولكنها العلة الأولى التي لا تزال تتكاثر بواسطتها وان الجبال والبحار والأنهار والأشجار والنباتات وجواهرها التي تحمل حياتها كل ذلك تفجر من ذلك الروح المحيط الذي يستقر في سائر الأشياء وفي قلوبنا. تفقه هذا يا ولدي العزيز واقطع قيود الجهل التي تقيدك^(١).

وفي القرآن والسنة إشارات كثيرة إلى هذه النظرية. وحسب هذا الرأي تعتبر

(١) عن ومقالة ويدانت في مجلة ثقافة الهند

الأشياء موجودات حقيقية^(١) وحقيقة الله وحقيقتها واحدة وإن اختلفت في الشدة والضعف والصفات والنوع أو الكم والكيف، وإن جعلناها مختلفة عن حقيقة الله اختلافاً تاماً وقعنا في الشرك وتعدد القدماء. والموجودات مع عدم بقائها وتغيرها لها حظ من الوجود والحقيقة في الحال، لأنّها تحافظ على بقائها مدة من الزمن ونلاحظها عند ما تتغير لا تفنى فناء تاماً بل تتغير من حالة إلى أخرى. ويعتبر هذا التفسير الله أوسع من الموجودات وأوسع من العالم كله.

(٢) وحدة الوجود ووحدة الموجود:

الصلة قوية بين الرأي الأول والثاني

(١) يقصد بكلمة حقيقي أو الحقيقة كل ما هو موجود في الخارج مستقلاً عن حواس الإنسان وفكره أي ضد كل ما هو نفسي أو خيالي، وتستعمل للصدق ضد الكذب أي لما حدث أو يحدث صدقاً. أما الحقيقة المطلقة فلها معنى ادق المخصصة بما يلي:

١. لا يتوقف وجودها على وجود آخر أي قائمة بذاتها.
 ٢. لا يتغير ادراكنا لها بتغير الظروف والاحوال والعلاقات أي يكون لها صفة واحدة وكيفية واحدة.
 ٣. أن تكون لها كمية ثابتة فلا يتغير مقدارها حسب الظروف والاحوال.
 ٤. أن تكون خالدة أبدية لا تفنى ولا تتغير.
- والأشياء لا تتوفر فيها هذه الأمور فهي ليست حقائق مطلقة بل حقيقة جزئية.

ولا يوجد تعارض واضح بينها والرأي الأول أقرب إلى الشرع والعلم. الرأي الأول يقول: إنّ الموجودات وإن نشأت من الله فهي مخلوقات قاصرة تختلف عنه كثيراً ومسيرة بإرادة الله. والرأي الثاني يقول بما أن الله لا يحده زمان ولا مكان فلا وجود لغير الله وهو يظهر في كل مكان وكل زمان بمظاهر مختلفة فالوجود والموجود هو الله تعالى فكل شيء من الموجودات ليس جزء من الله بل الله بعينه وإنما الاختلاف الذي يظهر لنا بين الموجودات أما اختلاف في المظهر الذي يظهر فيه الله، وأما ناشئ عن عقلنا وحواسنا التي تسبب هذا الاختلاف. والموجودات في الحقيقة غير قاصرة وصفات الله كامنة فيها ولذلك نشأ منها العقل والروح. وبإمكان الإنسان بالإيمان والتوجه إلى الله أن يقترب من الله وأن يقوم ببعض الكرامات والخوارق.

الرأي الأول يعتبر الموجود مؤلفاً من ذات وصفات، والذات الذي فيه جزء من الله والصفات وهبها الله، وللشيء وجود في الحال والوقت الحاضر.

أما الرأي الثاني فيقول أن الموجود مجرد صفات لا غير اظهرها الله وليس الموجود جزءاً من الله وليس له وجود في الوقت الحاضر وإنّ المقصود من قوله تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ فَإِنَّ فِي الْحَالِ لِأَنَّ

المشتق حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال.
والمقصود بكلمة (باطل) في بيت الشاعر
ليبد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وكل نعيم لا محالة زائل
هو العدم في الحال أيضًا لا الاستقبال.

ويشبه أصحاب الرأي الثاني
الوجود بالبحر والموجودات بأمواج
البحر، وأصحاب الرأي الأول يشبهون
الموجودات بأجزاء من البحر قد تغيرت
عن أصلها.

وقد عبّر المرحوم الوالد عن الرأي
الثاني وهو وحدة الوجود والموجود بما يلي:
الوجود واحد والموجود واحد له ظهورات
وتطورات يتراءى أنّها كثرات وليس إلا
الذات ومظاهر الأسماء والصفات وشؤون
الجمال والجلال والقهر واللطف.

وقد عبّر عن هذا الرأي المتصوّف
الكبير محيي الدين ابن العربي بتغيير كلمة في
البيت المشهور:

وفي كل شيء له آية

تدلّ على أنّه الواحد

فقال تدلّ على أنّه عينه وتوصل إلى ما

هو أصرح فقال:

سبحان من حجب ناسوته

نور سنا لاهوته الثاقب

ثمّ بدا في خلقه بارزًا

بصورة الأكل والشارب

وعبّر عن ذلك الشاعر الصوفي الشهير

ابن الفارض:

هو الواحد الفرد الكثير بنفسه

وليس سواه ان نظرت بدقة

بدا ظاهرًا للكل في الكل بينا

نشاهده بالعين في كل ذرة

وقال ابو مدين التلمساني:

الله قل وذو الوجود وما حوى

ان كنت مرتادًا بلوغ كمال

فالكل دون الله (ان حقيقته)

عدم على التفصيل والإجمال

و اعلم بأنك والعوالم كلها

لولاه في محو وفي اضمحلال

من لا وجود لذاته من ذاته

فوجوده لولاه عين محال

و العارفون فنوا به لم يشهدوا

شيئًا سوى المتكبر المتعال

ورأوا سواه (على الحقيقة) هالكا

في الحال والماضي والاستقبال

و قال بهذا الرأي مشاهير متصوفة

الإسلام كالجنيد والشبلي ومعروف

الكرخي والحلاج والكيلاني ومحبي الدين ابن العربي. ويقترّب من هذا الرأي أصحاب الفلسفة الإفلاطونية الحديثة وفلسفة سبينوزا الألماني وبرغسون الفرنسي وبركلي الانكليزي الذي يقول: إنّ أنغام الكون وكل ما يؤثّر هذه الأرض وبالجملّة فإنّ كل هذه الأجسام التي تكون الاطار العظيم للعالم ليس لها مادة إلّا في عقلنا ... وطالما أنّه لا يمكنني ادراكها بنفسي ولا توجد في عقلي فإنّها أمّا لا توجد إطلاقاً أو إنّها توجد في عقل روعي ابدى.

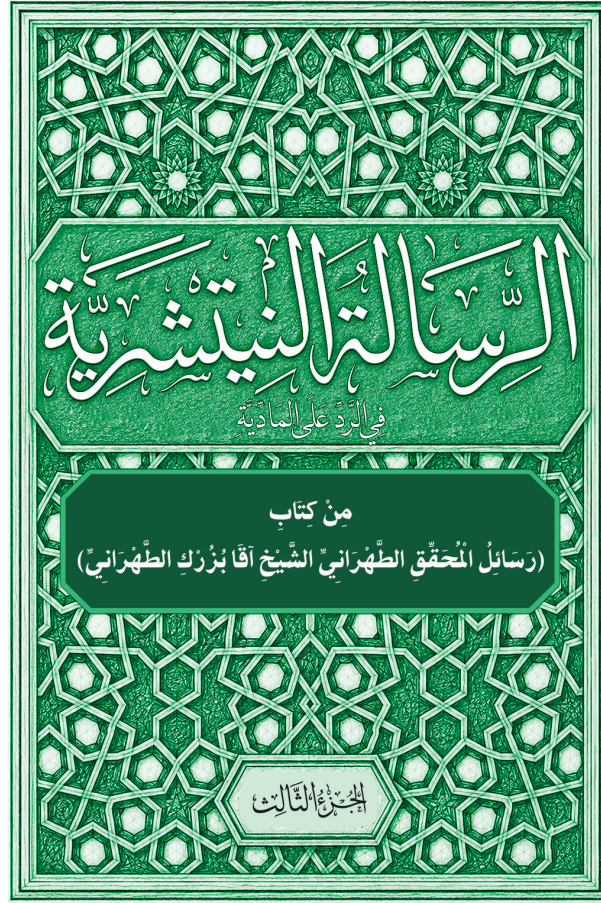
وآراء انشتاين قريبة لهذا الرأي وسنلخصها على حدة في هذا المقال وأقول: إنّ الجمع بين الرأيين والتوفيق بينهما جائز. حسب الرأي الأول يمكن ان يكمن الكل في كل جزء فيتغير بصور مختلفة. وحسب الرأي الثاني الكل يظهر بصور مختلفة متعاقبة غير مقيدة بحدود الزمان والمكان.

وينبغي ان لا يتبادر لذهن القارئ الحلول من هذه الآراء فإنّ الحلول الذي يخالف الشرع ان ينحصر وجود الله في شيء معين أو في شخص معين كال المسيح مثلاً أو أحد الأئمة أمّا الحلول بمعنى أنّ الله موجود في كل مكان فهو من صفات الكمال لله ويلزم الاعتقاد به.

(٣) الموجود هو الوجود الواجب:

هذا الرأي يعتبر الموجودات هي الوجود الواجب، والعوالم المحسوسة والمعقولة بأجمعها تطوراته وتشكلاته، ووجود الله يتمثل في هذه الموجودات وهذا الرأي وان كان يقول بوحدة الوجود لكن لا يختلف عن آراء الماديين فهو كفر بالله وضلال لأنّه لا يجعل لله وجوداً مستقلاً قائماً بذاته مهيمناً على الموجودات ومنظماً لها. كما انه لا يفسر الوجود، فالموجودات اذا كانت حقيقة كاملة ينبغي ان لا يعترها التغير وهذا الرأي لا يستطيع أن يفسر سر التغير المستمر في الوجود ذلك التغير الذي لا يتوقف وإذا كانت الموجودات حقيقة كاملة فمعنى ذلك ان لم يكن الوجود ثابتاً غير متغير فلا بد أن يأتي وقت يتوقف فيه التغير والعلم لا يؤيد ذلك.

[مبادئ الإيمان]



البشرية جمعاء.

ملخص الرسالة النيتشيرية إلى السيد جمال

الدين الأفغاني^(١)

ثانيًا: وإمّا شرف النفس، كما يزعم

أصحاب الأرباب، وهي صفة تمنع صاحبها عن

الإتيان بما يذم عند قبيلته، وهي صفة لا يتأثر

معها صاحبها من التشنيع ولا تفعل نفسه من

التقبيح.

وتلك الصفة (أي شرف النفس) ليس لها

حقيقة معينة، ولا هي معروفة عند جميع الأمم،

حتى يحظوا وأن يمنعوا بها أنفسهم من الوقوع

في الشهوات.

الحدود والصدود لجائحة الماديين:

الأمور التي يمكن بها إلزام النفس حدودها

هي:

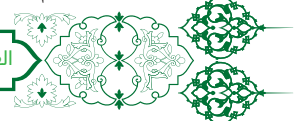
أولًا: إمّا الدفاع الشخصي، والدخول

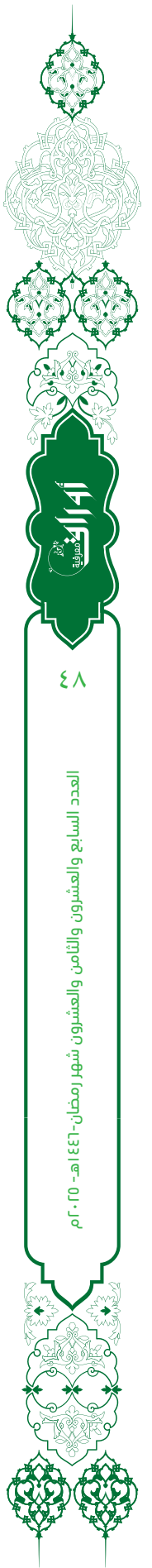
في معارك مع الآخرين، حتى تسيل الدماء،

ولا يزال القوي يسحق الضعيف حتى تنتهي

(١) تنظر ترجمته: طبقات أعلام الشيعة: ج ٣،

ص ٣١٠-٣١٣، رقم ٦٤٠.





وقد تبين ذلك من حال سكان البادية وأهل الجبال من القبائل النائية؛ فإنهم كانوا يعدون الغارة، والفتك بالأرواح، ونهب الأموال، واسترقاق الأحرار من أفعال المجد، وبلوغ غايتها هو بلوغ غاية الشرف، ونفس هذه الأفعال يعدها سكان المدن وأهل الحضارة من أحقر الأفعال وأدناها، ودليلاً على خسة النفس ووقاحتها.

وإن لنا عبرة في أغلب حياة السلاطين والملوك، فإنهم مع أخذهم بمذاهب الشرف، لا يبالون بنقض العهود وإنكار الذم، خصوصاً مع من دونهم ومن هو أقل منهم في القوة أو في العتاد؛ ولهذا فقد كان الخلل يعرض لنظام المعيشة حيث إن سائر الطبقات لا ينظرون إلى ما يصدر عن أمرائهم بمثل ما ينظرون إلى أمثالهم.

ثالثاً: وإمّا الحكومة، ولا يخفى على أحد أن قوة الحكومة أو السلطة إنما تأتي لوقف العدوان، ورفع الظلم الواضح الجلي، أما السرقة، والرشوة، وشهادة الزور، وغيرها مما يرتكبه الناس ويخططون له في الخفاء، فكيف للحكومة أن تقضي عليه؟

رابعاً: وإمّا الدين، أي: الاعتقاد والإيمان بأنّ للعالم صانعاً، عالماً بمضمرات القلوب، ومطويات الأنفس، سامي القدرة، واسع الحول والقوة، مع الاعتقاد

بأنّه قد قدر للخير والشر جزاء يوفاه مستحقه في حياة الآخرة.

وفي هاتين العقيدتين وازعان قويان يكبحان جماح النفس عن الشهوات، ويمنعانها عن العدوان ظاهره وخفيه، ويستأصلان مادة التدليس.

وقد تبين، أنّ أول تعاليم النيتشرين - الدهريين - إبطال هذين الاعتقادين:

(الاعتقاد بالله، والاعتقاد بالحياة الأبدية)، وهما أساس كلّ دين، وآخر تعاليمهم الإباحة والاشتراك، فهؤلاء جرائم اللؤم والخيانة، وأرومة الرذالة والنذالة، وأعلام الكذب والافتراء، ودعاة الحيوانية العجماء، محبتهم كيد، وصحبهم صيد، وتودّدهم مكر، ومواصلتهم غدر، وصدّاقتهم خيانة، ودعوتهم للإنسانية حباله، ودعوتهم للعوام شرك ومكيدة.

يخونون الأمانة، ولا يحفظون السر، ويبيعون أقرب الناس منهم، بأدنى مشترياتهم، هم عبدة البطون، وأسراء الشهوات، لا يستنكفون من الدنية، إذا أعقبتها عطية، ولا ينجلون من الفضيحة، إذا تبعتها رضيخة، لا علم عندهم بالوقار، ولا إحساس لهم بالعار، ولم يبلغهم عن شرف النفس خبر مخبر، ولا وصل إليهم عن الهمة عبارة معبر، ولا تفسير مفسّر.

وقد تبين لنا، أن الدين وإن قلت مكانته بين الديانات، ووهي أساسه، فهو أفضل من طريقة الدهريين، وهي أجمل أثرًا في عقد روابط المعاملات، بل في كل شيء يفيد المجتمع الإنساني، وفي كل طرق بشري إلى أية درجة من درجات السعادة في هذه الحياة الأولى.

ولما كان نظام الكون، قد بُني على نظام الحكمة، ونظام العالم الإنساني جزء من النظام الكوني، ألهم الله نفوس البشر أن تفرع إلى مقاومة أولئك المفسدين (الدهريين) في أي زمان ظهوروا، ومقاومة شرهم، ونبد عقائدهم.

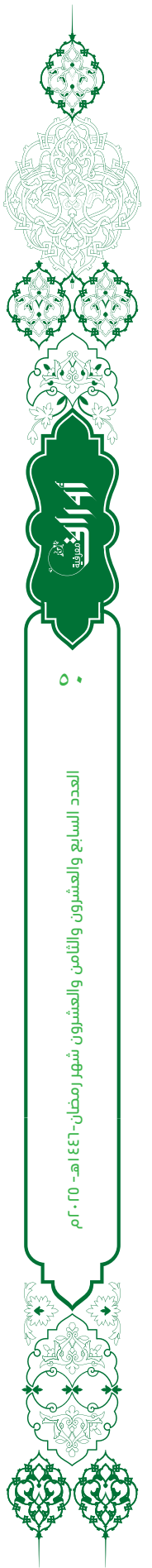
السعادة البشرية في الدين القويم:

إذن معلوم أن الدين الإسلامي هو الدين الذي أقيم على أساس متين من الحكمة، ورفع بناؤه على ركنين لسعادة البشر، ذلك أن عروج الأمم على معارج الحق الأعلى، وصعود الأجيال على مراقبي الفضائل، ونيلهم للسعادة الحقيقية في الدارين مشروط بأمور لا يتم إلا بها:

الأول: صفاء العقول من كدر الخرافات وصدأ الأوهام، فإن العقيدة الوهمية لو تدنس بها العقل لقامت حجابًا كثيفًا يحول بينه وبين حقيقة الواقع، ويمنعه من كشف الأمور، بل إن خرافة قد تقف

بالعقل عن الحركة الفكرية، وتدعوه بعد ذلك أن يحمل المثل على مثله، فيسهل عليه قبول كل وهم، وتصديق كل ظن، فترى الواهم المسكين يقضي حياته بين رجفة واضطراب، يتطير من طيران الطيور وحركات البهائم، ويضطرب من هبوب الرياح، وينزعج لقصف الرعد والتماع البرق، ويسلك به الوهم طرق الخيفة مما لا أثر له في الإخافة، وبهذا يسجل عليه الحرمان من أغلب أسباب السعادة، ثم يكون ألعوبة في يد المحتالين، وصيدًا جاهزًا للماكرين والدجالين. والركن الأول الذي بني عليه الدين الإسلامي، هو صقل العقول بصقال التوحيد، وتطهيرها من لوث الأوهام، فمن أهم أصوله الاعتقاد بأن الله متفرد بتصرف الأكوان، متوحد في خلق الفواعل والأفعال، وإن من الواجب طرح كل ظن في إنسان أو جماد، -علويًا كان أو سفليًا- بأن له في الكون أثرًا بنفع أو ضرر، أو إعطاء أو منع، أو إعزاز أو إذلال.

ومن المفروض خلع كل عقيدة أن الله -جل شأنه- ظهر أو يظهر بلباس بشر أو حيوان آخر لصالح أو فساد، أو أن تلك الذات المقدسة نالت في بعض أطوارها شديد الآلام وأليم الأسقام لمصلحة أحد من الخلق، فضلًا عما يحفّ بذلك من



خرافات، كل واحدة منها كافية في إعماء العقول وطمس أنوارها.

وأغلب الأديان الموجودة لا يخلو من هذه الأوهام.

الثاني: أن تكون نفوس الأمم مستقبلية وجهة الشرف، طامحة إلى بلوغ الغاية منه، بأن يجد كل واحد من نفسه أنه لائق بأية مرتبة من مراتب الكمال الإنساني، ما عدا رتبة النبوة، فإنها بمعزل عن المطمع، وإنما يختص الله بها من يشاء من عباده.

ولو أن قوماً أساءوا الظن بأنفسهم، واعتقدوا أن نصيبهم من الفطرة نقص الاستعداد وخسة المنزلة، وأن لا سبيل لهم في الوقوف في مصاف غيرهم من طبقات الناس، فلا ريب في أن يسقط من همهم على مقدار ما ظنوا في أنفسهم، وبذلك يتولى النقص أعمالهم، ويملك الجمود عقولهم، فيحرمون معظم الكمالات البشرية.

إن دين الإسلام قد فتح أبواب الشرف في وجوه الأنفس، وكشف لها عن غايته، وأثبت لكل نفس صريح الحق في أي فضيلة.

فالناس إنما يتفاضلون بالعقل والفضيلة، وقد لا نجد من الأديان ما يجمع أطراف هذه القاعدة، فلديك دين (براهما)، وقد قسم الناس إلى أربعة أقسام:

أحدهما: برهمن، وثانيهما: جهتري، وثالثهما: شودر، وقرر لكل منزلة من كمال الفطرة درجة لا يجاوزها، فأعلى منازل الكمال للبرهمن، يليها منزلة الجهتري، والصنف الرابع: أحقرها وأدناها في جميع المزايا.

وكان هذا التقسيم سبباً في انحطاط المتدينين بهذا الدين، وقصور خطاهم عن الرقي في مدارج المدنية، وانحسار أفكارهم دون الوصول إلى ما يطلبه استعدادهم من المعارف الصحيحة والعلوم الحقة.

الثالث: أن تكون عقائد الأمة - وهي أول شيء ينقش في ألواحها - مبنية على البراهين القويمة والأدلة الصحيحة، وأن تتحامى عقولهم عن مطالعة الظنون في عقائدها، وترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها.

[هذا]، ومن يأخذ في عقائده بالظن ينصب عقله على متابعة الظنون، والمقتنع بأن آباءه كانوا على مثل عقيدته، فالأولى به أن يكون هو عليها.

إن الدين الإسلامي يكاد يكون متفرداً من بين الأديان بتقريع المعتقدين بلا دليل، وتوبيخ المتبعين للظنون، وتبكي الخاطبين في عشواء العماء، والقذح في سيرتهم، وقلماً يوجد من الأديان ما يساويه أو يقاربه في

هذه المزية، وغير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخصلة الجليلة.

ومن الأديان الظاهرة ما بني أعظم أركانه على أصل الكثرة في الواحد، أو الوحدة في الكثير، وأن الواحد يكون أكثر، والكثير يكون واحد مما تنبذه بداهة العقل.

الرابع: أن يكون في كل أمة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الأمة، لا يلوون جهداً في تنوير عقولهم بالمعارف الحقّة وتحليلتها بالعلوم الإضافية، ولا يدخرون شيئاً في تبين طرق السعادة لهم.

وطائفة أخرى تقوم على النفوس، تتولى تهذيبها وتثقيفها، وتكشف عن الأوصاف الفاضلة وحدودها فيها، وتمثل للمدارك فوائدها ومحاسن غاياتها، وتفصح مستور الرذائل.

فإذن لابدّ من الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر القائم بتقويم الأخلاق، وإن من أهم الأركان الدينية في الديانة الإسلامية هاتين الفريضتين: (نصب المعلم ليؤدي عمل التعليم، وإقامة المؤدّب الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر)، هذان هما أعظم فروض الدين الإسلامي.

فإن قال قائل: إن كانت الديانة الإسلامية على ما بيّنت، فما بال المسلمين على ما نرى من الحال السيئة، والشأن

المحزن؟

فجوابه: أن المسلمين كانوا كما كانوا، وبلغوا بدينهم ما بلغوا، والعالم يشهد بفضلهم، وأكتفي الآن من القول بهذا النص الشريف: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

(انتهت)



رؤيته سبحانه يوم القيامة بالأبصار المادية

السبح جعفر السبحاني

تجعلها في عداد المحالات، فمثلاً:

إن المرئي إمّا كلّ سبحانه أو بعضه، فعلى الأول يكون سبحانه محاطاً، والله محيط، وعلى الثاني يلزم أن يكون مركباً ذا أجزاء وهو محال، ولم يرد في صريح القرآن ما يدلّ على ذلك.

وأظهر ما استدللّ به على الرؤية هو قوله

سبحانه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٣). فخرج المستدلّ إلى أن المراد من

يقول الإمام الأشعري بجواز رؤية الله

تعالى بهذه الأبصار المادية يوم القيامة، ويقول:

وليس في تجويز الرؤية إثبات أيّ حدث.^(١)

ويقول أيضاً في «الإبانة»: وندين بأنّ الله

تعالى يرى في الآخرة بالأبصار، كما يرى القمر

ليلة البدر، يراه المؤمنون^(٢).

يترتب على القول بالرؤية مضاعفات كثيرة

(١) اللمع في الردّ على أهل الزيغ والبدع: ص ٦١.

(٢) الإبانة: ص ٢١.

(٣) سورة القيامة: الآية ٢٢-٢٣.

الناظرة أتمها رائية، ترى ربها ﷻ، ولكن المستدل غفل أنه سبحانه يسند النظر إلى الوجوه لا إلى العيون، فلو أراد سبحانه الرؤية لقال عيون يومئذ ناضرة، ولم يقل وجوه يومئذ ناضرة.

على أن قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ عدل لقوله سبحانه: ﴿تَنْظُرُنَّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾^(١) وبالإمعان في مفهوم العدل، يعلم المقصود من قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

توضيح ذلك:

إن الآية لا تدل على نظرية الرؤية حتى ولو قلنا بأن النظر في الآية بمعنى الرؤية، بل الآية تهدف إلى أمر آخر لا صلة له بمسألة الرؤية، ويعرف مفاد الآيات بمقارنة بعضها ببعض، وإليك بيانه:

إن الآية الثالثة تقابل الآية الأولى، كما أن الرابعة تقابل الثانية، وعند المقابلة يرفع ابهام الثانية بالآية الرابعة، وإليك تنظيم الآيات حسب المقابلة:

١- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ يقابلها قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾.

٢- ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ يقابلها قوله: ﴿تَنْظُرُنَّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾.

وبما أن المقابل للآية الثانية واضح

(١) سورة القيامة: الآية ٢٥.

المعنى، فيكون قرينة على المراد منها، فإذا كان المقصود من المقابل أن الطائفة العاصية تظن وتتوقع أن ينزل بها عذاب يكسر فقارها، ويقصم ظهرها، يكون المراد من عدله وقرينه عكسه، وليس هو إلا أن الطائفة المطيعة تكون مستبشرة برحمته ومتوقعة لفضله وكرمه، لا النظر إلى ذاته وهويته وإلا لخرجت المقابلات عن التقابل، وهو خلف.

وبعبارة أخرى: يجب أن تكون المقابلات متحدة المعنى والمفهوم، إلا في النفي والإثبات، فلو كان المراد من المقابل الأول أعني: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ هو رؤية جماله سبحانه وذاته، فيجب أن يكون الجزاء في قرينه أعني: ﴿تَنْظُرُنَّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ هو حرمان هؤلاء عن الرؤية أخذًا بحكم التقابل، وبما أن تلك الجملة - أعني: القرين الثاني - لا تحتل ذلك المعنى، أعني الحرمان من الرؤية، بل صريحة في انتظار العذاب الفاجر، يكون ذلك قرينة على المراد من القرين الأول وهو رجاء رحمته وانتظار فرجه وكرمه.

هذه نماذج مما يضاد العقل الصريح، ولها نظائر في السنة النبوية المنسوبة إلى النبي ﷺ وهو عليه السلام بريء منها. ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتابنا (الحديث النبوي



بين الرواية والدراية).

سورة الحديد^(٢).

فقد خرجنا بالنتيجة التالية:

إنَّ الطريقة المثلى هي سلوك منهج لا يؤدي إلى التشبيه ولا إلى التعطيل، فأهل التشبيه يصبّون المعارف العملية في قوالب جسمية وصفات مادية، وأهل التعطيل يوصدون نوافذ عقولهم وأفهامهم من التطلع إلى ما وراء الطبيعة، ولكن الطريق الوسط هو التعرف على ما وراء الطبيعة بما فيها من الجمال والجلال عن طريق التدبّر وإمعان النظر بتنظيم الحجج العقلية أو بالنظر إلى آيات وجوده، فعند ذلك يخرج الإنسان عن مهلكة التشبيه ومغبة التعطيل وإفراط المجسمة وتفريط المعطلة، وهذا هو الذي يدعو إليه القرآن الكريم وخطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

قال الإمام علي عليه السلام: «لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته»^(١).

وقال الإمام علي بن الحسين عليهما السلام:
«إنَّ الله عزَّ وجلَّ علم أنَّه يكون في آخر الزمان متعمقون، فأنزل الله تعالى سورة: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ والآيات الست من

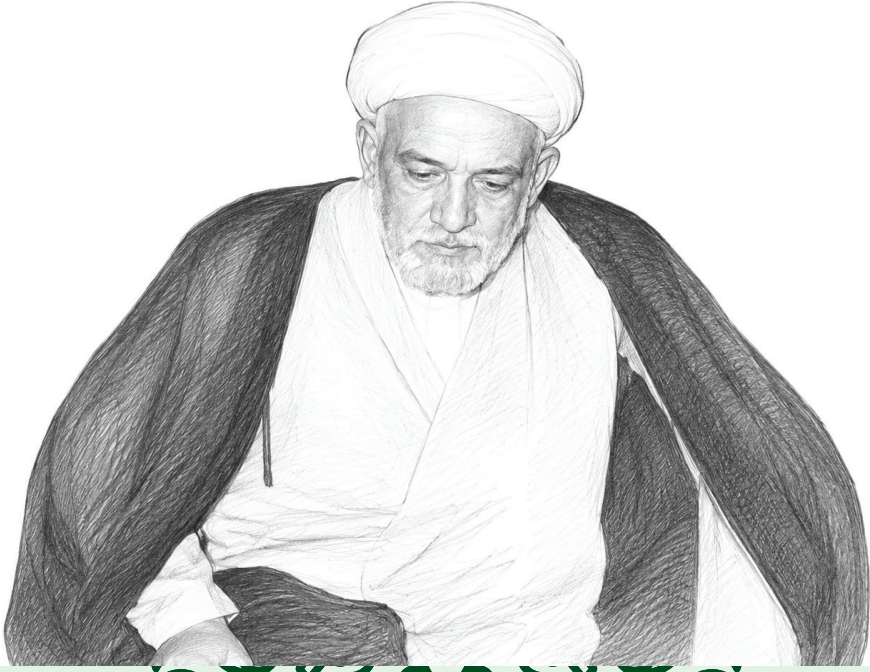
وكتب الإمام الصادق عليه السلام في جواب سؤال (عبد الرحيم بن عتيك القصير) -عندما سأله عن قوم بالعراق يصفون الله بالصورة وبالتخطيط-: «سألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك فتعالى الله الذي ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، تعالى عما يصفه الواصفون المشبهون الله بخلقه المفترون على الله.

فاعلم رحمك الله أنَّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عزَّ وجلَّ، فانفِ عن الله تعالى البطلان والتشبيه، فلا نفى ولا تشبيه هو الله الثابت الموجود، تعالى الله عما يصفه الواصفون ولا تعدوا القرآن فتضلّوا بعد البيان»^(٣).

[رسائل ومقالات: ج ٢]

(٢) الكافي: ج ١ ص ٩١، باب النسبة، الحديث ٣، تفسير نور الثقلين: ج ٥ ص ٢٣١.
(٣) الكافي: ج ١، باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه، الحديث ١.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٩.



كيف نشأت الحياة على الأرض؟

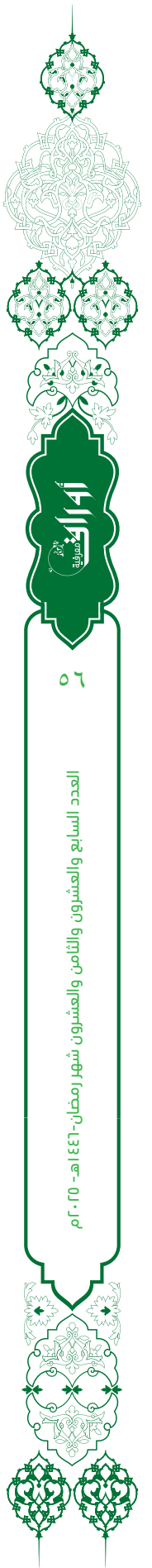
الشيخ محمّد حسن آل ياسين

الحياة التي لا تكاد ترى إلّا بالمجاهر الكبيرة. فهذه النقطة التي تناهت في الصغر تحتوي على مادة لزجة تسمى (بروتوبلازم)، وأثر الحياة فيها أنّها تتحرّك فتأخذ من الجو ثاني أكسيد الكربون في وجود الشمس، وتفصل الهيدروجين من الماء فتكون بذلك مركبات كيميائية هي غذاؤها الذي تنمو به وتنقسم.

كيف نشأت الحياة على الأرض؟ وهل يمكن أن يكون مصدرها الشمس؟ وللجواب على هذا السؤال نتساءل أولاً: ما هي الحياة؟

هل هي شيء له حجم أو مادة لها وزن؟ أم هي خليط بين هذا وذاك أو من هذا وذاك؟

الحياة هي الأثر الذي يظهر في الخلية



وقد حاول العلماء ملايين المرات خلق (البروتوبلازم) الحي بمختلف الوسائل وتحت مختلف الظروف فاختفقوا وازدادوا إيماناً بوجود خالق لهذه الخلية، وأن الخلق لا يمكنهم خلق أنفسهم.

وهذه الخلية الحية التي هي وحدة الحياة تتكاثر فتسبب الكائنات، فهل خلقت أول خلية منها خلقاً أم وجدت مصادفة؟!

ولقد وضعت نظريات عديدة لتفسير كيفية نشأة الحياة من عالم الجمادات، فذهب بعض الكتاب إلى أن الحياة قد نشأت من البروتوجين، أو من الفيروس، أو من تجمع الجزيئات البروتينية الكبيرة. وقد يخیل إلى بعض الناس أن هذه النظريات قد سدت الفجوة التي تفصل بين عالم الأحياء وعالم الجمادات. ولكن الواقع الذي ينبغي أن نسلم به هو أن جميع الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بالفشل الذريع، ومع ذلك فإنَّ مَنْ ينكر وجود الله لا يستطيع أن يقيم

الدليل المباشر للعالم المتطلع على أنَّ مجرد تجمع بعض الذرات والجزيئات عن طريق المصادفة يمكن أن يؤدي إلى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التي شاهدناها في الخلايا الحية؛ لأنَّ كلَّ خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقّد درجة يصعب علينا فهمها، وأنَّ ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرة الله شهادة تقوم على الفكر والمنطق والوضوح العقلي. إنَّ التفسير العلمي للحياة بأنَّها نشاط كيميائي تفسير غير كافٍ، لأنَّ الجسم الميت يحتوي على نفس المواد الكيميائية التي في الجسم الحي، والتراب يحتوي على نفس المقادير من الحديد والنحاس والكربون.

والقول بأنَّ الرغبة الجنسية يحث عليها هرمون التستوستيرون لا يفسر لنا الرغبة الجنسية. لأننا سنقول: وما هي الفاعلية التي صنعت التستوستيرون في الجسم.

وبالمثل حينما يقول لنا عالم النبات أنَّ حركة (عباد الشمس) نحو

الشمس ينظمها هرمون الأوكسين لن
نعتبر المشكلة قد حلت، وإنَّما سوف
نسأل: وما هي الفاعلية التي صنعت
هذه المادة المثيرة والتي تضبط كمياتها
في نسيج النبات؟

وإنَّ التركيب الكيماوي للخلية
لا يكشف لنا سر حياتها؛ لأنَّ الحياة
ليست مجرد منظومة جامدة مثل البيت
أو المصنع، وإنَّما هي منظومة حية فيها
قدرة على تكرار نفسها، وفيها فطرة
ارشادية تقودها من الداخل، وهي
فطرة مبنوثة في نسيجها تجدد ما يتلف
منها وتستحدث ما يضيع.

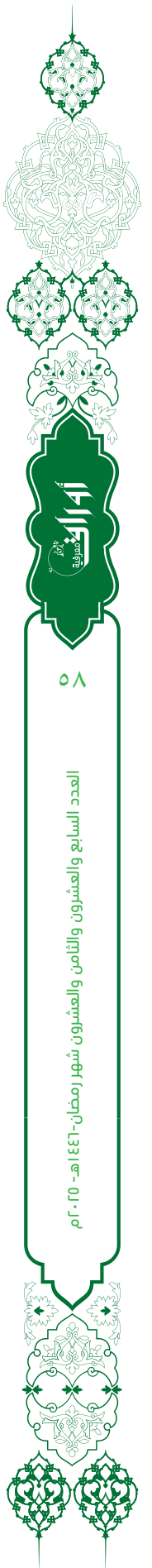
وهكذا يكون اللغز المطلوب
حلُّه كامناً في هذه البصيرة المطوية
في تضاعيف المادة، وليس في تركيب
المادة نفسه.

ويرى العلم الحديث أنَّ أرضنا
هذه كانت قطعة من الشمس
انفصلت عنها، ولا بد أنَّها كانت
عند انفصالها بدرجة حرارة الشمس
نفسها- ولنفترض أنَّها كانت تماثل
درجة حرارة الشمس حالياً، برغم
مرور ملايين السنين التي تعمل على

خفض حرارتها- فتكون درجة حرارة
سطحها ستة آلاف درجة مئوية، أمَّا
باطنها فدرجة حرارته أربعون مليون
درجة، ولما أخذت الغازات التي
انفصلت عن الشمس لتكون الأرض
تبرد تدريجياً تكون سطح الأرض،
وتكون الماء الذي كلما لامس القشرة
الأرضية المرتفعة الحرارة طار إلى الجو
في شكل بخار درجته لا تتصور،
فيقابل جواً بارداً بين الأرض
والشمس فيعود إلى الأرض في شكل
طوفان مدمر، وبتوالي انخفاض
الحرارة استقر الماء وتكوّنت البحار ثم
الجبال.

وعلى فرض صحة هذه الفروض
في كيفية وجود الكرة الأرضية، فنحن
نفكر في أمر الخلية الحية التي ربما يقال
إنَّها نزلت مع الأرض من الشمس،
وكيف يمكن أن تعيش خلية حية في
درجة حرارة قدرها ما لا يقل عن ستة
آلاف درجة مئوية، مهما كانت هذه
الخلية مغلفة، ومهما اتخذ حيالها من
ضروب الوقاية والمحافظة عليها.

إنَّ درجة حرارة الإنسان- وهو



الذي يعتبر ارقى الكائنات الحية - لا تزيد على ٣٧ مئوية، إلا في حالات المرض فتتجاوز الأربعين قليلاً، وإذا كان الماء يصبح بخاراً في درجة مائة من الحرارة فإن درجة ألف كافية لأن تجعل كل شيء مهما كان صلباً، على درجة غازية يفقد معها صلابته، فما بالنا بدرجة حرارة ستة آلاف؟

وعلى هذا فإن العلم والعقل متفقان على استحالة بدء الحياة بخلية حية قادمة من الشمس، ولا بد للكائن الحي أن يكون خلق على الأرض بعد تكوينها، وما أجمل ما يعلنه العالم المعروف غوستاف بونيه إذ يقول:

«ان نخلق المادة الحية!! كيف يمكن ذلك حين نفكر كم من الخصائص المتجمعة والوراثة والمستقبل المعقد يوجد في قطعة من البروتوبلازم الحية».

* ونعود الآن وبعد بيان كل ما سلف، إلى السؤال الرئيس في البحث: هذا الكائن الأول الذي لم تسبقه حياة، من أين جاء؟ وممّ تطوّر؟ ولا حياة قبله.

هل جاء من عدم؟ هل تخلق من مادة موات! وكيف يتخلّق الحي من الميت ويصدر الوجود من العدم؟ أسئلة لا جواب عليها ولا حيلة للعلم فيها سوى الفروض والتخمينات.

واحد يفترض أنّ الكائن الأول سقط علينا من السماء في لفافات الشهب والنيازك قادما من كواكب بعيدة مأهولة.

وهو جواب يحملنا إلى نفس السؤال الأول، فمن أين نشأت هذه الكائنات الأولية على تلك الكواكب البعيدة؟

وعالم آخر يقول: الحياة تخلقّت من المادة الموات نتيجة ترتيب فريد في ذراتها. وشهادته على ذلك أنّ المادة الحية تتألف من نفس العناصر الميتة التي نراها حولنا في الصخور والمياه والطين. نفس الذرات: الكربون والهيدروجين والأكسجين والنيتروجين، وقد أعيد بناؤها بنسب وأنماط وعلاقات فريدة لتعطي الأحماض الأمينية والبروتينات

والنشويات والسكريات التي نراها في الكائنات الحية، وهو لا يكفي بالافتراض، بل يقدم تجربة مثيرة يطلق فيها شرارة كهربائية واشعاعات فوق بنفسجية في مزيج من غازات النوشادر وثاني اوكسيد الكربون والميثان وبخار الماء، ثم يجمع نواتج التفاعل فإذا بها آثار أحماض أمينية.

والأحماض الأمينية تعرف بأنّها اللبنة الأساسية التي صنع منها الكائن الحي. فمن تشابك هذه الأحماض بطريقة أو بأخرى ينشأ نوع أو آخر من أنواع البروتين. وهذه يمكنها أن تتشابك بمليون ومليون طريقة كما تشابك حروف الهجاء في اللغة الواحدة لتؤدي إلى ما لا نهاية من العبارات والكلمات والمعاني. والبروتينات الناتجة هي دائما مواد شديدة الحساسية للحرارة والبرودة والضوء والكهرباء فتتحلل وتتركب لاقل مؤثر خارجي، فهي اذن تملك صفة الحياة الجوهرية: الانفعال بالبيئة والتأثر بمؤثراتها.

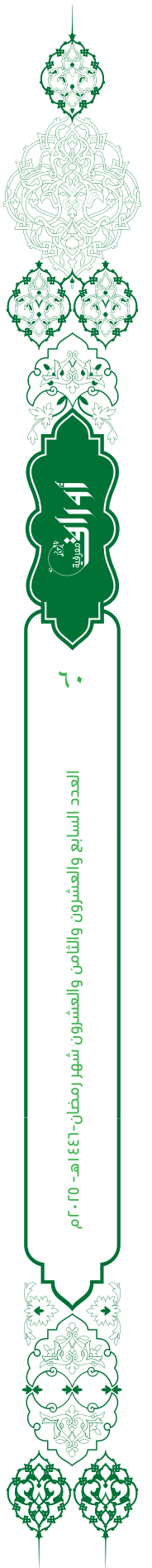
ولقد كانت الظروف منذ

ملايين السنين على الأرض ملائمة لتكرار مثل تلك التجربة ولتكوين هذه المركبات الفريدة التي اسمها الأحماض الأمينية، وكانت تذوب في الماء بمجرد تكوينها فتتشابك مع بعضها لتؤلف ملايين الاحتمالات من المواد البروتينية. وكان لا بد أن تلتقي هذه الأحماض الأمينية ذات مرة على النمط الفريد المعروف باسم (حامض ديزوكسي ريبونوكليك) D.N.A ذلك الجزيء الذي يتكوّن منه الفيروس.

إنّها مجموعة من الفروض. كلّ فرض منها يأخذ برقبة الآخر.

إنّ هؤلاء العلماء يقولون: إنّ قانون الصدفة يؤيّدنا. فالقرد الذي يجلس على الآلة الكاتبة يدق عليها إلى ما لا نهاية من الزمان لا بد أن يدق مرّة شعراً الشكسبير. أليست أمامه لا نهاية من الفرص ولا نهاية من الزمان؟

إنّ كلّ ما يطلبون أن تتراص الأحماض الأمينية على الهيئة الفريدة التي اسمها D.N.A، وسوف تتولى المادة الفريدة أمر نفسها فتكاثر بآليتها



الخاصة وازدانة بذلك بذور الحياة الأولى.

صدقنا وآمنا جدلاً وافتراساً
أن عناصر التراب والماء
التقت صدفة واعتباطاً واتفاقاً
على شكل الحامض البدائي
A. N. D.

ثم بدأ الحامض يتناسل بطريقته
الآلية ليصنع من نفسه ملايين النسخ.
إن كل هذا ليس الحياة التي نراها.
لا بد إذن أن نعود فنفترض أن
مفردات هذا الحامض عادت فالتقت
صدفة واتفاقاً واعتباطاً لتؤلف
البروتين.

ثم إن البروتين صدفة واعتباطاً
شكل نفسه على صورة خلية.

ثم نعود فنقول: إن إحدى الخلايا
اختارت لنفسها صدفة واعتباطاً
الشكل النباتي وخلية أخرى اختارت
لنفسها صدفة واعتباطاً الخط الحيواني.

ثم نتسلق شجرة الحياة درجة
درجة، ومعنا هذا المفتاح السحري
كلما اعيتنا الحيلة في شيء قلنا: إنه

حدث صدفة. هل هذا معقول؟!
بالصدفة تستدل الطيور والاسماك
المهاجرة على أوطانها^(١) على بعد آلاف
الأميال وعبر الصحاري والبحار.
بالصدفة يكسر الكتكوت البيضة
عند أضعف نقطة فيها ليخرج.

بالصدفة تلتئم الجروح وتخيظ
نفسها بنفسها بدون جراح.
بالصدفة يدرك (عباد الشمس)
أن الشمس مصدر حياته فيتبعها.

بالصدفة تصنع أشجار الصحاري
لنفسها بذوراً مجنحة لتطير عبر
الصحاري إلى حيث ظروف إنبات
وري وأمطار أحسن.

بالصدفة اكتشف (الفيروس)
طريقته المربعة في السطو على الخلية
وسرقة حياتها من داخلها وتدميرها.
بالصدفة اكتشف النبات
«الكلوروفيل» واستخدمه في توليد
طاقة حياته.

بالصدفة صنع البعوض أكياساً
للطفو لكل بيضة من بيضاته لتطفو

(١) محمد حسن آل ياسين، أصول الدين -
قم، چاپ: أول، ١٤١٣ق.

على الماء ولا تهلك.

والنملة التي تحقن السم في المراكز العصبية للدودة لتشلها ثم تسحبها لتحتفظ بها في عشاها طعاماً مخزوناً للصغار، هل تتم هذه القصة المحبوبة بالصدفة؟.

والنحلة التي أقامت مجتمعاً ونظاماً ومارست العمارة وتخصصت في عمليات كيميائية معقدة تحول بها الرحيق إلى عسل والزهر إلى شمع هل تقوم بكل هذا صدفة؟

وحشرات (الترميت) التي اكتشفت القوانين الأولية لتكييف الهواء وطبقت في مجتمعها نظاماً صارماً للطبقات، هل وصلت إلى ذلك بالصدفة؟ والحشرات الملونة التي اكتشفت أصول فن ومكياج التنكر والتخفي؟

والحشرات (قاذفة القنابل) التي تولد الغازات السامة وتطلقها، هل كل هذا تم صدفة وخبط عشواء؟

لو أننا صدّقنا وآمنّا بأنّ الحياة بدأت صدفة! فكيف نصدّق أنّ كلّ هذه الأحداث تَمَّت بالصدفة.

إنّما السذاجة بعينها أن نقول مثل هذا الكلام.

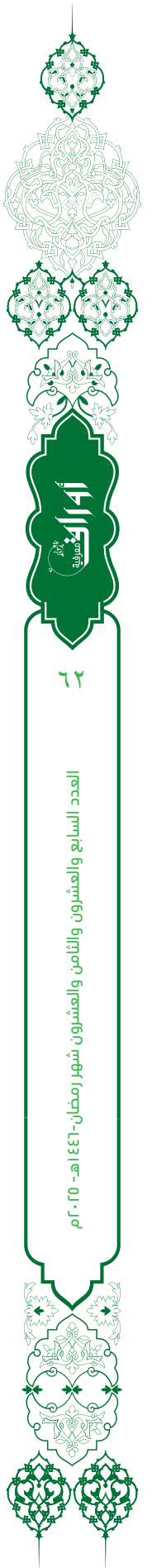
وقد وجد الفكر المادي نفسه في مأزق أمام هذه السذاجة فبدأ يحاول التخلّص من كلمة (الصدفة) ليفترض فرضاً آخر فقال: إنّ كلّ هذه الحياة المذهلة بألوانها وتصانيفها بدأت من (حالة ضرورة) مثل الضرورة التي تدفعك إلى الطعام ساعة الجوع، ثم تعقّدت (الضرورة) بتعقّد البيئات والظروف والحاجات فنشأت كلّ هذه الألوان.

وهذا مجرد لعب بالألفاظ. فمكان (الصدفة) وضعوا كلمة (تعقد الضرورة).

وهي في نظرهم تتعقّد تلقائياً وتنمو تلقائياً، فكيف؟! كيف ينمو الحدث الواحد إلى قصة محبوكة بدون عقل مؤلّف؟

ومن الذي أقام (الضرورة) أصلاً؟ وكيف تقوم (الضرورة) من (لا ضرورة)؟

إنّما استماتة وتفان من أجل تجنب حقيقة فطرية بديهية تفرض نفسها على



ذلك كله فرضاً: أن هناك خالقاً مدبراً.
فلماذا المكابرة؟

ولماذا نلتمس المستحيل لتجنب
الحقيقة الواضحة التي تهتف بها
الفطرة والبدهة من أعماقنا؟
وإذا كذبنا البدهة فماذا يبقى من
عقلنا، وهو يقوم كله على نظام منطقي
من البديهيات؟

وليس من معنى لذلك كله سوى
أن نهدم عقلنا ومعطياته من حيث
ندّعي أننا عقلانيون علميون نستهدي
الموضوعية العلمية في كل شيء.

يقول عالم الطبيعة الدكتور
كونجدين: «إن جميع ما في الكون يشهد
على وجود الله سبحانه ويدل على
قدرته وعظمته. وعند ما نقوم نحن
العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون
ودراستها، حتى باستخدام الطريقة
الاستدلالية فإننا لا نفعل أكثر من
ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته. ذلك
هو الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه
بالوسائل العلمية المادية، ولكننا نرى
آياته في أنفسنا وفي كل ذرة من ذرات
هذا الوجود. وليست العلوم إلا

دراسة خلق الله وآثار قدرته».

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾^(١) ﴿هُوَ
الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ
نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ
يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢) ﴿اللَّهُ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ
وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم
مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾^(٣) ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

[أصول الدين]

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٢.

(٢) سورة يونس: الآية ٥.

(٣) سورة إبراهيم: الآيات ٣٢-٣٤.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

اولاد علمية

عبادة الجاهل

الوحيّد البهيماني

وأما المخطئة - وهم الشيعة قاطبة وأكثر العامة - فهم لا يقولون بأنّ حكم الله تعالى تابع لظنّ المجتهد الذي ظنّه حجة شرعا، فضلا عن الجاهل.

وأما المصوّبة، فقلنا: إنّه لا يقول ذلك إلّا بالنسبة إلى ظنّ المجتهد المعتر شرعا.

وإن كان يقول بأنّه مكلف بما أمر الله تعالى به في الواقع، فلازم ذلك أن يأتي بما أمر الله تعالى به في الواقع، وهذا لا يمكن للمجتهد أن يأتي به، فضلا عن العامي، إذ غاية ما يحصل للمجتهد الظنّ بأنّه ما أمر الله تعالى به واقعا، إذ الكلام إنّما هو في المسائل الاجتهادية، لا المسائل الضرورية، - أي: العبادات - التي لا يمكن الحكم بصحتها، وأنها موافقة لما أمر الله تعالى به إلّا بالظنون الاجتهادية، لأنّها هي التي يقول بها الفقهاء: وأنّه لا بدّ من الاجتهاد أو التقليد

اعلم يا أخي! أنّ من يقول بصحّة عبادة الجاهل إن كان يقول إنّه مكلف بما حصل به ظنّه بأيّ وجه حصل وهذا هو تكليفه لا غير، يلزمه الحكم بصحّة عبادته وإن كانت مخالفة لما أمر الله تعالى به. بل يلزمه الحكم بفسادها إن كانت مطابقة لما أمر الله تعالى به وكانت مخالفة لظنّه.

مثلا: من ظنّ أنّ صلاة الصبح أربع ركعات يكون تكليفه منحصرًا في الأربع، فلو اقتصر على الثنتين تكون فاسدا، لعدم المطابقة مع تكليفه. ولو صلى أربعًا من غير فصل بتسليم يكون ممثلا، ولو فصل بالتسليم تكون باطلة.

وهذا باطل، بالضرورة من الدين، وهو أيضا لا يقول به، بل متحاش عنه.

بل هذا قول المصوّبة - الذين هم من العامة - بالنسبة إلى المجتهد وظنّه الذي ثبت اعتباره شرعا.

فيها. وأمّا إذا لم يكن الاستناد فيه إلى اجتهاد وتقليد فلا كلام فيه، مثل الضروريات.

فنقول: إذا كان المكلف به هو الأمر الواقعي، ومعنى التكليف به أنّه مأمور بإتيانه - أي: إتيان ذلك الواقعي - فلازم ذلك تحصيل العلم أو الظنّ المعتر شرعا، أي: ثبت من الدليل الشرعي أنّ الله جوّزه، ورضي به أن يكون عوضا عمّا أمر به في الواقع.

والأ فبين الأمر الشرعي الواقعي والظنّ الحاصل للمكلفين فرق ظاهر، وتفاوت بيّن، فكيف يمكن أن يكون أحدهما موضعا للآخر وعوضا بغير رخصة من الشرع وتجويزه؟!

سيّما مع أنّ الشارع صدر عنه ما يدلّ على عدم اعتبار الظنّ، بل والمنع عن اعتباره ما يزيد على القدر المعتر في التواتر. مع أنّ القرآن - الذي هو من المتواترات - مذكور ذلك فيه كرّات [و] مرّات.

ولذا ترى علماء العامّة - فضلا عن الخاصّة - في كلّ موضع اعتبروا ظنّا، ما اعتبروه إلّا بدليل قطعي، أو ينتهي إلى القطع.

ولذا منعوا عن اجتهاد من لم يحصل له رتبة الاجتهاد، وحكموا بحرّمته، وإن

كان ظنّه مطابقا لظنّ المجتهد؛ لأنّ الاعتبار عندهم بكبرى قطعيّة حاصلة للمجتهد، لا الصغرى الحاصلة من ظنونهم، وكذا الحال في المقلّد.

فإن قلت: معرفة العبادة أمر خارج عن ماهيّتها، وهو مأمور بالعبادة.

قلت: لا شكّ في أنّه مأمور بالعلم والمعرفة، والأخبار في ذلك متواترة، ومضمونها متّفق عليه بين الأئمّة، وأنّها من الواجبات العينيّة.

فإن قلت: لا شكّ في ذلك، لكن نقول: لعلّ مجرد المظنّة يكون كافيا في تحقّق العلم وصدق المعرفة.

قلت: مجرد المظنّة أمر سوى العلم والمعرفة، وبين المعنيين فرق بالبدئية، مع أنّ الوارد في الأخبار أنّه لا بدّ من الأخذ ممّن هو أهله، سوى ما ورد من المنع عن العمل بالظنّ والأمر بالعمل بالعلم، وغير ذلك ممّا مرّ وسيجيء.

فإن قلت: لا شكّ في ذلك، لكن نقول: لعلّها تكون واجبة على حدة، لا شرطا في صحّة العبادة، ويكون المكلف آثما في ترك تحصيلها، لا أن تكون عبادته أيضًا فاسدة.

قلت: ببالي أنّه وردت الأخبار المتضمّنة لنفي الصحّة بدون الفقه والمعرفة،



وما يؤدّي هذا المعنى بعنوان الظهور أو النصوصيّة، لكن الآن ليس عندي من الكتب حتّى أبين الأمر.

سلمنا عدم الورود، لكن لا شكّ في أنّه يجب علينا الإطاعة، والآيات والأخبار المتواترة في هذا المعنى واضحة الدلالة، والإطاعة عبارة عن امثال الأمر عرفاً ولغة، ومعنى امثال الأمر هو الإتيان بنفس ما أمر به فإن كان المأمور به هو مظنة المكلف، فلا شكّ في تحقّقه بالمظنة، لكن قد عرفت أنّه فاسد بالبديهة.

وإن كان المأمور به هو أمراً واقعياً، فامثال الأمر لا يتحقّق إلّا بإتيان ذلك الأمر الواقعي، لا مظنون المكلف، كما أنّه لا يتحقّق بالمحتمل البتّة.

نعم، لو ثبت من الأمر أنّه اكتفى بظنّ عوضاً عمّا أمر به في الواقع فهو المتّبع، عامّاً كان ذلك الظنّ أو خاصّاً، على حسب ما ثبت من الأمر.

لكن قد عرفت عدم الثبوت، بل وثبوت العدم.

مضافاً إلى أنّ شغل الذمّة شرعاً يقيني، والشارع قال: لا تنقض اليقين إلّا بيقين مثله.

وأيضاً، هو مستصحب حتّى يثبت خلافه شرعاً.

وأيضاً، العمومات والإطلاقات الدالّة على أنّه مكلف تشمل صورة ما نحن فيه، لعدم ثبوت التخصيص والتقييد شرعاً.

وأيضاً، الإجماع واقع على أنّ شغل الذمّة شرعاً يستدعي البراءة بعنوان شرعي.

وأيضاً، ما ذكرت لا يلائم لقواعد العدليّة، فإنّ رجلين لو كانا متساويين في الفعل والعمل من دون تفاوت أصلاً، وكان عبادتهما من أوّل العمر إلى الآخر بالظنون التي ذكرت، إلّا أنّه اتّفق خطأ ظنون أحدهما، وصارت عباداته مخالفة للواقع بخلاف الآخر، فكيف يعاقب بالنسبة إلى كلّ واحد واحد من واجباته ومحرماته عقاباً، كلّ واحد من العقوبات على حدة، ولا يمكن وصف شدة كلّ واحد من العقوبات؟! والآخر يعطى الجنة ومثوباتها العظيمة التي لا يمكن وصف واحد منها، كلّ ذلك بمحض الاتفاق، بأنّ اتّفق أنّ عبادة هذا صارت خطأ، واتّفق أنّ عبادة هذا وافقت الواقع، مع عدم تفاوت أصلاً في فعلهما وعنايتهما، وبذل جهدهما، بل ورّبما كان العناية وبذل الجهد من الخاطئ أكثر، وظنّه أقوى وأشدّ.

فإن قلت: بناء الفقه على الظنون، والمرء متعبّد بظنّه.

قلت: إن أردت من الظنون ما هو معتبر



على اعتباره، وقضاء الضرورة به، وعمل المسلمين في الأعصار والأمصار عليه، وآية ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ دالة على اعتباره، وكذا حديث: فإذا كان العالم كذا وكذا فللعوام أن يقلدوه. وغير ذلك.

مع أنه مركوز في خواطر كل واحد أن كل أمر مجهول يرجع فيه إلى أهل خبرته والماهر في فنه، فإذا أراد أن يعرف أن درهما هل هو زيف أم لا؟ يرجع فيه إلى الماهر في المعرفة، ويذل جهده في تحصيل الماهر وفي معرفته. وكذا إذا أراد معرفة عيب شيء وإن كان أقل من درهم. وكذا يرجع إلى الطبيب. [رسائل فقهية]

شرعاً فمسلّم، لكن الكلام في اعتباره، ولم يثبت، بل وثبت خلافه كما عرفت، بل الأوامر الواردة في وجوب تحصيل العلم والمعرفة، والتأكيدات، والتشديدات، والوعيدات، والتهديدات لم ترد إلا لأجل أن لا يعتمد على أمثال هذه الظنون.

وإن أردت كل ظن وأن الكل معتبر شرعاً فممنوع، بل وفساد كما عرفت.

مع أنه يلزم على هذا صحة عبادته وإن كانت مخالفة لما أمر به، بل وفسادها إن كانت على خلاف ظنه وإن كانت مطابقة للواقع، بل وحرمتها وعدم جواز فعلها، بل ووجوب فعلها مخالفة لما أمر به كما أشرنا. وفساد هذا بديهي، وأنتم أيضاً متحاشون عنه.

وأيضاً، يلزم على هذا عدم العقاب على ترك العلم والمعرفة، بل وكون الظنون الفاسدة علماً ومعرفة متصفة بصفة الوجوب الشرعي، ويترتب عليها الثواب والعقاب.

وما ذكر أيضاً فاسد قطعاً، مخالف للأدلة القطعية، واتفاق جميع المسلمين، وأنتم أيضاً متحاشون عنه.

فإن قلت: تقليد المجتهد أيضاً مظنة.

قلت: نعم، لكن ليس كغيره، للإجماع

قاعدة الاعتداء

الشيخ جعفر كاشف الغطاء

مستفادة من قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١)، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

ونحوها في الأخبار كثير، ولا شبهة في تمثية الحكم إلى القصاص في القتل والجرح مع جميع الشرائط. ويبقى الكلام في مقامات آخر.

أحدها: ما كان من الأفعال مما عدا ما ذكر من ضرب ووكز ودفع ونحوها وفي بدن إنسان أو حيوان، أو حمل ونقل فيها، أو في مال أو نقض مكان أو وضع قذارات فيه أو قلع شجرة أو حجر أو مدر أو حفر أو بصاق في وجه أو إظهار غضب أو السعي عليه عند الظالم ونحوها مع المماثلة أو استيفاء الأقل وعدم التفاوت بالنسبة إلى الزمان والمكان والأحوال التي تختلف بها الحال، وظاهر الكتاب وبعض مضامين الأخبار جرى الحكم فيه، ويظهر من كثير من الفقهاء عدمه.

ثانيها: ما كان من الأقوال وله أنحاء شتى منها التشبيه بالجمادات أو بالنساء أو بالعجم من الحيوانات كالكلب والخنزير والحمار والبقرة، أو بالكافر والمجنون والجاهل ونحوها.

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٤.

(٢) سورة الشورى: الآية ٤٠.

ومنها: رفع الصوت عليه وخشونة الكلام مع التوجه إليه ونسبة المعاييب إليه كنسبته إليه، وعدم رد السلام عليه كعدم ردّه السلام، وإعلاء الصوت لإيقاظه من النوم على نحو إيقاظه إلى غير ذلك.

ثالثها: ما كان من الأوضاع والكيفيات كأن يأتي بهيئة التحقير من اضطجاعه أو مد رجله أو من توجيه قدميه إليه في حضرته أو عدم التواضع له إلى غير ذلك، ومحل البحث فيما جاء حكمه من جهة الاحترام.

وأما ما كان من الحرام كالتصرّف بزوجه أو رحمه والنظر إلى محارمه أو إهانة مصحفه ومحترماته وشتمه والكذب عليه ونحو ذلك مما يلزم منه الخروج عن الشرع فإنّه لا كلام في منعه، وفي إلحاق الغيبة والمهجاء والسب بأي القسمين بحث.

والذي يظهر من الخوض في كلمات القوم أنّه لا قصاص في ما عدا المستثنى وأنّه مؤخر إلى الآخرة، والعمل بظاهر الكتاب والميل عن ظاهر الأصحاب لا يخلو من قوّة، لكن القصاص على وجه الاستيفاء من دون زيادة ونقصان متعذر أو متعسر في هذا المكان، ولا ينبغي العدول عن طريق الاحتياط^(١) في مثل هذه المقامات.

[القواعد الست عشرة]

(١) الاحتياط: ويسمى بالموافقة أو الإطاعة الإجمالية القطعية، وهو ما يحصل به القطع بامتنال التكليف واليقين بحصول الواقع المطلوب منه، من دون استناد إلى حجة شرعية كآية قرآنية أو قول معصوم أو فتوى مجتهد أو نحو ذلك في تعيين الواقع. النور الساطع في الفقه النافع / الشيخ علي كاشف الغطاء: ج ١ ص ٥٧.

قاعدتان أصوليتان

الدكتور عبد الرهاري الفضلي

فإن كان كل رجل اختار رجلا من أصحابنا،
فرضيا أن يكونا الناظرين في حقهما، واختلفا
فيما حكما، وكلاهما، اختلفا في حديثكم؟

قال: الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما
وأصدقهما في الحديث، وأورعهما، ولا يلتفت إلى
ما يحكم به الآخر.

قلت: فإئهما عدلان مرضيان عند أصحابنا،
لا يفضل واحد منهما على الآخر؟

قال: ينظر إلى ما كان من روايتهم عنا في
ذلك الذي به حكما، المجمع عليه من أصحابك
فيؤخذ به من حكمنا، ويترك الشاذ الذي ليس
بمشهور عند أصحابك، فإن المجمع عليه لا
ريب فيه، وإنما الأمور ثلاثة:

أمرين رشده فيتبع، وأمرين غيّه فيجتنب،
وأمر مشكل يرد علمه إلى الله ورسوله. قال
رسول الله ﷺ: «حلال بين، وحرام بين،

البكري الكوفي، قال فيه الشهيد الثاني: «لم ينص
الأصحاب فيه بجرح ولا تعديل، لكن أمره عندي
سهل، لأنني حققت توثيقه في محل آخر: ص ٤٤ من
الدراية».

وقال ابنه الشيخ حسن العاملي: «قال - يعني
الشهيد - في بعض فوائده: الأقوى عندي أنه ثقة
لقول الصادق ﷺ في حديث الوقت: إذا لا يكذب
علينا» ص ١٠٣ من إتقان المقال - انظر: مبادئ
أصول الفقه: ص ٦٩ ط ٣.



قاعدة تعارض الخبرين

نختصر الحديث عن هذه القاعدة في

النقطتين التاليتين:

- بيان معنى التعارض.
- حل التعارض شرعا.

١- يعني الأصوليون بالتعارض - هنا -
التكاذب بمعنى أن كلاً من الخبرين إذا توفر
على جميع شروط ومقومات الحجية يبطل الخبر
الآخر، ويكذبه.

٢- واستدلوا لحل هذا التعارض بما ورد
في (مقبولة عمر بن حنظلة)^(١) من قوله: «قلت:

(١) المقبولة: هي الرواية التي يتلقاها العلماء بالقبول
من حيث السند، ويعملون بمضمونها.
وعمر بن حنظلة: هو عمر بن حنظلة العجلي

حيث استفيد من هذه المقبولة: أن حل التعارض يتم بالتالي:

- إذا كان أحد الخبرين مشهور الرواية، والآخر شاذ الرواية، يؤخذ بالمشهور ويطرح الشاذ.

- وإذا كان أحد الخبرين موافقا في حكمه لحكم الكتاب والسنة، والآخر مخالفا في حكمه لحكم الكتاب والسنة يؤخذ بالموافق ويطرح المخالف.

- وإن كان أحد الخبرين موافقا في حكمه لحكم قضية وحكام العامة، والآخر مخالفا لحكم قضية وحكام العامة، يؤخذ بالمخالف، ويطرح الموافق.

والمراد بالعامة - في هذا السياق - : «أولئك الرعايا وقادتهم من الفقهاء الذين كانوا يسيرون بركاب الحكم ويررون لهم جملة تصرفاتهم بما يضعون لهم من حديث حتى انتشر الوضع على عهدهم انتشارا فظيعا». وتسمى هذه المرجحات، وتختصر كالتالي:

١- الشهرة في الرواية.

٢- وافقة الكتاب والسنة^(٣)

٣- مخالفة العامة.

وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم».

قلت: فإن كان الخبران عنكما^(١) مشهورين قدرواهما الثقات عنكم؟

قال: ينظر، فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة، وخالف العامة فيؤخذ به، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة.

قلت: جعلت فداك، أريت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة، ووجدنا أحد الخبرين موافقا للعامة والآخر مخالفا لهم، بأيّ الخبرين يؤخذ؟

قال: ما خالف العامة فيه الرشاد.

قلت: جعلت فداك، فإن وافقهم الخبران جميعا؟

قال: تنظر إلى ما هم إليه أميل - حكاهم وقضاتهم - فيترك، يؤخذ بالآخر.

قلت: فإن وافق حكمهم الخبرين جميعا؟

قال: إذا كان ذلك فأرجه «وفي بعض النسخ: فأرجئه حتى تلقى إمامك، فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات»^(٢).

(١) يقصد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

(٢) مبادئ أصول الفقه: ص ٦٩ - ٧١، نقلا

عن أصول الفقه للمظفر: ج ٣ ص ٢٥٠.

(٣) انظر: مبادئ أصول الفقه: ص ٦٥ - ٧٢.



قاعدة الاستصحاب

يأتي الحديث عن هذه القاعدة في النقاط التالية:

١ - تعريف الاستصحاب.

٢ - بيان أركان الاستصحاب.

٣ - الاستدلال لحجية الاستصحاب.

وسأقتصر - هنا - لأجل الاختصار على ما ذكرته في كتابي (مبادئ أصول الفقه)^(١)، وهو:

١ - عرف الاستصحاب بأنه (حكم

الشارع ببقاء اليقين في ظرف الشك من حيث الجري العملي).

وسوف يتضح معنى هذا التعريف

أكثر عند استعراض أركان الاستصحاب فيما يأتي.

ولأجل توضيحه بالمثل تقريباً إلى

الأذهان نقول:

إذا كان المكلف على حالة معينة وكان

متيقناً منها ثم شك في ارتفاعها، فإن الشارع

المقدس يحكم - هنا - بإلغاء الشك، وعدم

ترتيب أي أثر عليه، وبالقيام بترتيب آثار

اليقين السابق في مجال العمل والامثال.

كما إذا كان المكلف على وضوء وكان

متيقناً من ذلك، ثم شك في انتقاض وضوئه هذا بنوم أو غيره، فإنه - هنا - يبنى على وضوئه السابق، ويرتب عليه آثاره الشرعية من جواز الصلاة به، وغيره، ويلغي الشك الطارئ عليه، بمعنى أنه لا يرتب عليه أي أثر.

٢ - ويشترط في جريان الاستصحاب

لينتهي إلى الحكم المطلوب أن يتوفر الموضع الذي يجري فيه على الأركان التالية:

أ - اليقين: وهو العلم - وجدانا أو تعبداً - بالحالة السابقة على الشك.

ب - الشك: وهو كل ما لم يصل إلى مرحلة اليقين (العلم الوجداني أو التعبدي).

ج - وحدة المتعلق في اليقين والشك.

أي: إن ما يتعلق به اليقين هو نفسه يقع متعلقاً للشك.

د - فعلية الشك واليقين فيه.

(فلا عبرة بالشك التقديري لعدم صدق النقض به، ولا اليقين كذلك لعدم صدق نقضه بالشك).

هـ - وحدة القضية المتينة والقضية المشكوكة في جميع الجهات.

(أي: إن يتحد الموضوع والمحمول والنسبة والحمل والرتبة، وهكذا.

ويستثنى من ذلك الزمان فقط رفعا
للتناقض).

و - اتصال زمان الشك بزمان اليقين.
(بمعنى أن لا يتخلل بينهما فاصل من
يقين آخر).

ز - سبق اليقين على الشك.

٣ - واستدل على حجية الاستصحاب
بعدة أدلة أهمها ما يلي:

أ - سيرة العقلاء: وقد استدل بها على
حجية الاستصحاب على غرار الاستدلال
بها على (حجية الظهور).

وملخص الاستدلال:

هو (أنَّ الاستصحاب من الظواهر
الاجتماعية العامة التي ولدت مع
المجتمعات، ودرجت معها، وستبقى - ما
دامت المجتمعات - ضماناً لحفظ نظامها
واستقامتها، ولو قُدِّر للمجتمعات أن ترفع
يدها عن الاستصحاب لما استقام نظامها
بحال، فالشخص الذي يسافر - مثلاً -
ويترك بلده وأهله وكل ما يتصل به، لو ترك
للكوك سبيلها إليه - وما أكثرها لدى
المسافرين - ولم يدفعها بالاستصحاب،
لما أمكن له أن يسافر عن بلده، بل أن
يترك عتبات بيته أصلاً، ولشلت حركتهم
الاجتماعية وفسد نظام حياتهم فيها).

و(عصر النبي ﷺ ما كان بدعا من
العصور، ولا مجتمعه بدعا من المجتمعات،
ليبتعد عن تمثل وشيوع هذه الظاهرة، فهي
بمرأى من النبي ﷺ - حتماً -، ولو ردع
عنها لكان ذلك موضع حديث المحدثين،
وهو ما لم يحدث عنه التاريخ، فعدم ردع
النبي ﷺ عنها يدل على رضاه وإقراره لها،
وبخاصة وهو قادر على الردع عن مثلها،
وليس هناك ما يمنعه عنه).

ب - السنة: وقد استدل على حجية
الاستصحاب بأحاديث، منها:

موثقة عمار عن أبي الحسن (ع): «قال:

إذا شككت فابن على اليقين.

قلت: هذا أصل؟

قال (ع): **نعم**».

والرواية من الوضوح في غنى عن
الشرح.

[أصول البحث]

أما المرحلة الأولى:

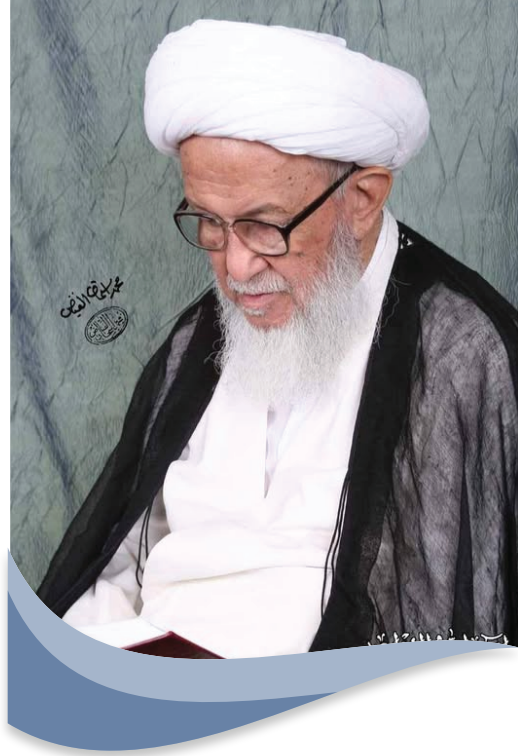
فمنشأ الاختلاف في هذه المرحلة إنّما هو الاختلاف في نتائج الأفكار التي تستعمل في تكوين تلك القواعد، والنظريات العامة وتحديدّها في الحدود المسموح بها وفقاً لشروطها العامة، فإن نتيجة التفكير حول حجية النصوص التشريعية تختلف بطبيعة الحال سعة وضيقاً، كما كيفاً، تبعاً لاختلاف شروطها العامة.

وكذلك حول استفادة مداليل تلك النصوص على أساس المناسبات العرفية الارتكازية، ومطابقة تلك المداليل للواقع الموضوعي، ومستوى تلك القواعد ومداهما دقة شمولاً.

ثم إن ذلك الاختلاف الموجود في نتائج الأفكار بين المجتهدين في تحديد تلك القواعد، والنظريات العامة في الأصول على صعيد البحث النظري يرجع في نهاية المطاف إلى إحدى النقاط التالية:

الأولى: الموقف الشخصي لكل مجتهد إزاء تحديد تلك القواعد، والنظريات العامة، وتكوينها وفقاً لشروطها، فإنّه قد يؤثر في موقفه الواقعي أمام هذه القواعد والنظريات، ويغيره عن وجهه الواقعي.

الثانية: المقدرة الفكرية الذاتية، فإنّ لاختلاف المجتهدين في تلك المقدرة الفكرية أثراً كبيراً لاختلافهم في تحديد تلك القواعد



اختلاف المجتهدين في الفتاوي آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق الفياض

يقع الخلاف بينهم في مرحلتين:

المرحلة الأولى: في تكوين النظريات العامة، والقواعد المشتركة للتفكير الفقهي.

المرحلة الثانية: في مجال تطبيق تلك القواعد، والنظريات العامة على صغرياتها، ومواردها الخاصة.



أمين كقاعدة عامة، ولكن قد يقع الخطأ في مقام التطبيق فيبدو لبعض منهم وثاقة الراوي وأمانته في النقل في رواية، وبني عليها حجيتها، والعمل على وفقها، رغم أنَّه في الواقع ليس بثقة وأمين، وبذلك يتغير موقفه أمام عملية الاجتهاد والاستنباط عن موقف من أصاب الواقع، وعلم بعدم وثاقته.

وقد يبدو له: دلالة الأمر الوارد في مسألة مثلاً على الوجوب غافلاً عن وجود قرينه تعبر عن الاستحباب فيها، وقد يكون الأمر بالعكس.

وقد يبدو له: عدم التعارض بين نصين فيجمع بينها بتقديم أحدهما على الآخر، لوجود مرجح دلالي رغم أن بينهما تعارضاً، ولا مرجح له في الواقع.

وقد يبدو له تعارض بينهما، وفي الواقع لا معارضة، وهكذا، فإن هذه الخلافات التي تقع بين المجتهدين على صعيد التطبيقات مع افتراض اتفاقهم على صعيد النظريات فأيضاً تنشأ من الاختلافات بينهم في النقاط الآتية الذكر.

[النظرة الخاطفة في الاجتهاد]

والنظريات العامة وتكوينها بصيغة أكثر دقة، وعمقاً.

الثالثة: المقدرة العلمية بصورة مسبقة، فإن لاختلاف المجتهدين في تلك المقدرة العلمية أثراً بارزاً في كيفية تكوين تلك القواعد، والنظريات العامة، تبعاً لشروطها.

الرابعة: غفلة المجتهد خلال دراسة تلك القواعد، وممارستها عما يفرض دخله في تكوينها، أو عدم استيعابه تمام ما يفرض دخله فيه، فإن ذلك يغير وجه تلك القواعد سعة وضيقاً عن واقعها.

الخامسة: اختلاف الظروف والبيئة التي يعيشه المجتهد فيها مدة من عمره، فإنَّه قد يؤثر في سلوكه العملي تجاه تكوين تلك القواعد، وتحديدتها في إطار إسلامي.

السادسة: خطأ المجتهد في الفهم والنظر، حيث إنَّه يغير وجه تكوين تلك القواعد، والنظريات العامة عن واقعها الموضوعي كما وكيفاً.

وأما المرحلة الثانية:

وهي مرحلة التطبيق - فيقع الخلاف بين المجتهدين في هذه المرحلة مع افتراض اتفاقهم في المرحلة الأولى، كما إذا افترض أنَّهم متفقون على حجية كل نص يرويه ثقة



مات وعليه حجة الإسلام وتبرع متبرع

السيد محمد رضا السيستاني

هنا عدة فروع..

(الفرع الأول): أن مات وعليه حجة الإسلام وله تركة تفي بأداء الحج عنه ولكن تبرع عنه أحد بالحج قبل أن يؤتى به عنه من تركته يكون الحج المتبرع به صحيحاً وموجباً لبراءة ذمته، أي: إنه كما يجزي الحج المتبرع به عمن ليس له تركة تفي بأداء الحج عنه كذلك

مسألة (٨٢): من مات وعليه حجة الإسلام وتبرع متبرع عنه بالحج لم يجب على الورثة الاستئجار عنه، بل يرجع بدل الاستئجار إلى الورثة.

نعم إذا أوصى الميت بإخراج حجة الإسلام من ثلثه لم يرجع بدله إلى الورثة، بل يصرف في وجوه الخير أو يتصدق به عنه.

يجزي عمن له تركة تفي به.

وهذا ما تقدم البحث عنه مفصلاً في شرح المقطع الأخير من المسألة (٧٢). ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أمر، وهو أن السيّد الحكيم^(١) والسيّد الأستاذ^(٢) (رضوان الله عليهما) قد استدلا في المقام بصحيفة معاوية بن عمار^(٣) قال: سألت أبا عبد الله^(ع) عن رجل مات ولم يكن له مال ولم يحج حجة الإسلام، فأحج عنه بعض أخوانه هل يجزي ذلك عنه؟ أو هل هي ناقصة؟

قال^(ع): «بل هي حجة تامة».

إلا أن الملاحظ أن مورد هذه الصحيحة هو من مات وليس له مال، وصحة التبرع عن مثله لا تقتضي صحة التبرع عمن له مال، كما هو محل الكلام.

وكأن الاستدلال بها مبني على القطع بعدم الخصوصية لكون الميت ممن لا مال له، ولكن لا يمكن القطع بذلك، فالاستدلال بهذه الصحيحة في هذا المقام في غير محله.

واستدل السيّد الأستاذ^(٢) لهذا المدعى

(١) مستمسك العروة الوثقى: ج ١٠،

ص ٢٥٧.

(٢) معتمد العروة الوثقى: ج ١، ص ٣١٧.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٤٠٤.

في موضع آخر^(٤) بروايتين أخريين..

الأولى: رواية عامر بن عميرة^(٥) قال: قلت لأبي عبد الله^(ع): بلغني عنك أنك قلت: لو أن رجلاً مات ولم يحج حجة الإسلام فحج عنه بعض أهله أجزأ ذلك عنه؟ فقال: «نعم أشهد بها عن أبي حدثي أن رسول الله^(ص) أتاه رجل فقال يا رسول الله: إن أبي مات ولم يحج، فقال له رسول الله^(ص): حُجَّ عنه فإن ذلك يجزي عنه».

ومبنى الاستدلال بهذه الرواية هو أنها مطلقة من حيث كون الميت ممن له مال أو لا، والمنساق منها كون الحج بمال النائب نفسه لا بمال الميت إن كان له مال، ولا أقل من إطلاقها من هذه الجهة أيضاً.

وعلى ذلك فهي تدل على الاجتزاء بحج النائب وإن كان للميت مال يفي بأداء الحج عنه.

ولكن يمكن التشكيك في انعقاد الإطلاق لها من حيث ما ذكر، فإنه لا يبعد كونها في مقام بيان أصل مشروعية الحج عن الميت، فإنها كانت موضع خلاف بين فقهاء المسلمين، ولذلك لم يكتف الإمام^(ع) في الجواب بقوله: «نعم» حتى أضاف إليه نقل

(٤) معتمد العروة الوثقى: ج ٢، ص ١٠٠.

(٥) الكافي: ج ٤، ص ٢٧٧. وقريب منه في

تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٤٠٤.



ذلك عن النبي ﷺ فيما رواه عن أبيه عليه السلام، فتأمل.

هذا من حيث دلالة الرواية، وأما سندها فمخدوش من حيث عدم ثبوت وثاقة راويها الأخير وهو (عامر بن عميرة) كما في الكافي، أو (عمار بن عمير) كما في التهذيب، ولا يبعد أن يكون (عمار) محرف (عامر) لأن هذا هو المذكور في كتب الرجال وأسانيد الروايات الأخرى ولا ذكر للأول أصلاً.

كما لا يبعد أن يكون (عميرة) محرف (عمير) فإن الأخير هو المذكور في رجال الشيخ^(١) وفي بعض أسانيد كامل الزيارات^(٢) والأصول الستة عشر^(٣)، وإن كان المذكور في رجال البرقي^(٤) هو الأول.

وكيفما كان فالرجل مجهول الحال. وكان السيد الأستاذ تقي بنى على وثاقته من حيث كونه من رجال كامل الزيارات، ولكن مرّ مراراً الخدش في هذا المبنى الذي عدل عنه لاحقاً.

الرواية الثانية: صحيحة الحكم بن

(١) رجال الطوسي: ص ٢٥٦.

(٢) كامل الزيارات: ص ٤٩٠.

(٣) الأصول الستة عشر: ص ١١٥.

(٤) رجال البرقي: ص ٣٦، وفي الهامش: أن في

بعض النسخ (عمير).

حكيم^(٥) قال: قلت لأبي عبد الله إنسان هلك ولم يحج ولم يوص بالحج، فأحج عنه بعض أهله رجلاً أو امرأة، هل يجزئ ذلك ويكون قضاء عنه؟ أو يكون الحج لمن حج ويؤجر من أحج عنه؟

فقال: «إن كان الحاج غير ضرورة أجزأ عنها جميعاً، وأجر الذي أحجّه».

قال السيد الأستاذ تقي في وجه الاستدلال بهذه الرواية: أنّها واضحة الدلالة على أن الميت له مال لقوله: ولم يحج ولم يوص بالحج، إذ يعلم من ذلك أن الميت له مال ولكن لم يوص بالحج، ولو لم يكن له مال لا أثر للوصية وعدمها، فمورد الرواية الميت الذي له مال ولم يحج من ماله وأحج عنه بعض أهله، فحكم الله بالإجزاء ولم يوجب صرف المال من تركته.

فيلاحظ أنّه تقي استشهد بقول السائل: (ولم يوص بالحج) على أن الميت كان له مال يفني بأداء الحج عنه، من جهة أنّه لو لم يكن له مال كذلك فأبي مورد للوصية بالحج ليتصدى السائل لنفي صدورهما منه؟!!

ولكن هذا الاستشهاد ضعيف، لأن الوصية بالحج كما تصدر ممن له مال كذلك تصدر ممن لا مال له إذا احتمل تصدي

(٥) الكافي: ج ٤ ص ٢٧٧.

بعض أهله أو غيرهم لأداء الحج عنه إحساناً إليه، بل من وجوب الوصية بذلك على من استقر الحج في ذمته.

ولا يبعد أن يكون قول السائل: (ولم يوص بالحج) ناظرًا إلى الخلاف الذي كان سائدًا بين فقهاء المسلمين، حيث ذهب عدد من فقهاء الجمهور - منهم أبو حنيفة ومالك - إلى أن من لم يوص بأداء الحج عنه لا يحج عنه ويسقط فرضه بالموت^(١). فأراد السائل معرفة أنه هل تصح النيابة عن الميت في حجة الإسلام مع أنه لم يوص بأدائها أو لا. فلا مجال لجعل القيد المذكور شاهدًا على أن مورد الرواية خصوص من كان له مال كما أفاده تفتُّ.

والحاصل أن هذه الرواية لا تختص بها إذا كان للميت مال يفى بأداء الحج عنه، نعم هي مطلقة من هذه الجهة كما مرّ تقريب ذلك في البحث المشار إليه آنفًا، فلا مانع من التمسك بإطلاقها فيما هو محل الكلام.

(الفرع الثاني): أن من مات وعليه حجة الإسلام وله تركة تفي بأدائها عنه، وتبرع عنه متبرع وبرأت ذمته منها، ولم يكن قد أوصى بإخراج الحج عنه، يعدُّ كمن لم يكن عليه حجة الإسلام، من حيث إن ما

يقابل الحج يكون للورثة وفق السهام المعينة لهم في الشريعة المقدسة.

هذا إذا لم تكن له وصية، وإلا فإنَّ ما يقابل الحج يكون مشمولًا لما تنفذ فيه وصيته بشرط عدم تجاوزها عن الثلث إلا مع موافقة الورثة عليها في الزائد.

ولو كان عليه دين للناس بالإضافة إلى الحج وكانت تركته قاصرة عن الوفاء بهما معًا وبني على تقديم الحج على الدين في مثل ذلك - كما هو مبنى السيّد الأستاذ تفتُّ - ولكن تبرع عنه بالحج شخص قبل أدائه من تركته يلزم صرفها في أداء الدين ولا تكون للورثة.

وكذلك إذا كان عليه مع الحج دين شرعي - كالحمس والزكاة - ولم تف تركته بهما جميعًا وبني على تقديم الحج على الدين الشرعي لا مطلق الدين - كما هو المختار - وقبل أن يخرج الحج منها تبرع به آخر لزوم صرف التركة في أداء ما عليه من الدين الشرعي ولا تصير إلى الورثة.

والحاصل أنه مع تبرع الغير عن الميت بالحج وبراء ذمته منه يعد كمن لم يكن عليه الحج فيتعامل مع تركته على هذا الأساس وفق الترتيب المعروف من تقدم الدين على الوصية وتقدمها - بمقدار الثلث - على

(١) لاحظ فتح العزيز: ج ٧ ص ٤٣.



الإرث.

وهذا هو مراد السيّد الأستاذ رحمته بقوله: «بل يرجع بدل الاستتجار إلى الورثة، وليس مقصوده رجوعه إليهم مطلقاً وإن كان عليه دين مثلاً، وعلى ذلك ففي عبارته رحمته نوع قصور، وهي مقتبسة من عبارة السيّد صاحب العروة رحمته في المسألة (٨٧)».

وكيفما كان فالوجه في ما ذكر من أنّه مع أداء الحج عن الميت يعد كمن لم يكن عليه حجة الإسلام واضح، فإن ما دل على وجوب إخراجها من أصل التركة - الذي مر أنّه إرشاد إلى بقاء مقدار أجرتها على ملك الميت متعلقة لحق الحج، أو تعلق حق الحج بها بعد الانتقال إلى الورثة على الخلاف بين مسلكي الملك والحق - مورده هو ما إذا بقيت ذمة الميت مشغولة بحجة الإسلام. وأما مع براءتها منها فلا موضوع لبقاء مقدار من التركة على ملك الميت متعلقة لحق الحج، كما لا موضوع لتعلق حق الحج بالتركة المنتقلة إلى الورثة، نظير ما هو الحكم في مورد الدين.

وأما ما قد يقال من أن العبرة في استثناء كلفة الحج وقيمة الدين بزمان الوفاة، فإذا كان الميت مديناً أو عليه حجة

الإسلام يستثنى له من التركة بمقدار أجرة الحج أو قيمة الدين، وهذا المقدار يبقى على ملكه، ولا تكون للورثة - مثلاً وإن تبرع عنه متبرع بالحج أو الدين.

فهو مخدوش من جهة ما مر مراراً من أنّه بناءً على القول بالملك فإن ما يستفاد من النصوص ليس سوى بقاء مقدار من التركة على ملك الميت متعلقاً لحق الحج أو الدين لا مطلقاً، وهذا حكم وحداني، ولا موضوع له في الزمان الثاني، فلا محيص من الالتزام بعدم ثبوته، ومقتضى ذلك انتقال تمام التركة إلى الورثة.

هذا على مسلك الملك، وأما على مسلك الحق فالأمر واضح لأنّه ليس للميت في التركة المنتقلة إلى الورثة إلّا حق أن يؤدي بها ما اشتغلت ذمته به من الدين أو الحج، والمفروض براءة ذمته منه بفعل المتبرع، فلا يعقل بقاء ذلك الحق في التركة، وأما استبداله بغيره - بأن يكون له حق صرف ما يوازي كلفة الحج أو قيمة الدين في شأن آخر من شؤونه - فهو فاقد للدليل فلا يبنى عليه.

وبالجملة: إذا بني على صحة التبرع فلا محيص من الالتزام في مفروض الكلام بأنّ الميت يعتبر كمن لم تشتغل ذمته بحجة

الإسلام ويتم التصرف في تركته على هذا الأساس.

الفرع الثالث: أن من مات وقد أوصى بإخراج حجة الإسلام عنه من تركته إذا تبرع شخص بأدائها عنه فبرأت ذمته منها، فما هو حكم ما كان مقررًا لإخراجه من التركة، وهو أجرة الاستئجار عنه؟

ذكر السيّد صاحب العروة ^(١) أن هنا صورتين ...

الأولى: ما إذا كان الميت قد عيّن مقدارًا من المال لأداء حجة الإسلام عنه.

الثانية: ما إذا لم يكن قد عيّن ذلك، وإنّما اكتفى بمجرد الوصية بأداء الحج عنه.

وقد أفتى في الصورتين برجوع الأجرة إلى الورثة، ولكنه احتاط استحبابًا ولا سيما في الصورة الأولى - بصرف أجرة الحج في وجوه البر أو التصديق بها عن الميت الخبر علي بن مزيد السابري الذي تقدم البحث عنه مفصلاً.

ولكن جمعًا من المعلقين ^(٢) كالمحقق النائيني والسيّد الأصفهاني (قدّس سرّهما)

(١) العروة الوثقى: ج ٤ ص ٤٦٣ المسألة: ٠٨٧.

(٢) العروة الوثقى: ج ٤ ص ٤٦٣ التعليقة: ٣، ٢.

قالوا: إن لزوم ذلك مما لا يخلو عن قوة في الصورة الأولى، وبعضهم احتاط بذلك احتياطًا وجوبًا كالمحقق العراقي والسيّد الخوانساري (قدّس سرّهما).

والأولى أن يقال إن صور المسألة ثلاثة..

الصورة الأولى: ما إذا أوصى بإخراج الحج عنه من ثلثه مع تعيين مبلغ لذلك أو بدون تعيينه.

وفي هذه الصورة قد يقال ^(٣): (إنّه يجب العمل بالوصية حتى مع تبرع الغير بالحج عن الميت، أي: إنّه يجب على الوصي استئجار من يحج عنه عملاً بالوصية، بدعوى أن عمل المتبرع لا يكون موجباً لسقوط الوجوب إلّا فيما تكون قرينة على عدمها في فرض التبرع، وأما إذا لم تكن قرينة فلا بد من إخراج الحج من الثلث حسب ما أوصى.

ولكن الصحيح أن يعكس الأمر فيقال: إنّه إذا كانت هناك قرينة على إرادة الموصي الاستئجار حتى مع تبرع الغير بالحج عنه يلزم القيام بذلك، كما إذا أوصى بأنّ يستأجر زيد ليؤدي عنه حجة الإسلام

(٣) مصباح الناسك في شرح المناسك: ج ١ ص ١١٤: (النسخة الأولى).



من ثلثه، لثقتة التامة بأدائه للعمل على الوجه الصحيح وعدم ثقته بالآخرين كذلك، فتبرع شخص بأداء الحج عنه قبل أن يستأجر زيد لذلك. فإن في مثله لا يكون عمل المتبرع موجباً لسقوط وجوب العمل بالوصية، بل يجب العمل بها وإن كان الحج الذي يأتي به زيد عندئذٍ حجاً احتياطياً لاحتمال براءة ذمة الموصي بالحج المتبرع به.

وأما إذا لم تكن هناك قرينة على إرادة الاستئجار حتى مع تبرع الغير بالحج، كما لو اقتصر على الوصية بأداء الحج عنه من ثلثه، فتبرع شخص بأداء الحج عنه وكان حجه محكوماً بالصحة، فحينئذٍ يسقط وجوب العمل بالوصية؛ لأنَّ ظاهرها إرادة إبراء ذمته من حجة الإسلام، وقد تحقق ذلك من خلال عمل المتبرع، فلا يبقى موضوع للوصية، فلا وجه لأداء الحج عنه مرة أخرى من ثلثه.

وعلى ذلك فماذا يصنع بأجرة الاستئجار؟

ذكر السيّد الأستاذ ^١ في المتن أنَّها تصرف في وجوه الخير أو يتصدق بها عن الميت.

وقد يستشكل ^(١) على ما أفاده بأنَّ

مدرك هذا الحكم إن كان هو دلالة الوصية على تعدد المطلوب ففيه ..

أولاً: أن استفادة التعدد من الوصية أول الكلام.

وثانياً: أنَّه على فرض التسليم إنما نلتزم به فيما يكون مانع من حصول المطلوب الأول فتصل النوبة إلى الثاني، لا في مثل المقام حيث فرض تحقق الحج بالتبرع.

وبعبارة أخرى: غاية ما يمكن أن يستفاد من وصية الميت تحصيل خير بعد وفاته، والمفروض حصوله، فكيف يمكن الالتزام بصرفه في التصدق أو غيره خصوصاً إذا كان في الورثة الصغير أو مثله في المحجورية؟!

أقول: إن مورد الكلام هو فيما إذا أوصى بأداء الحج عنه من ثلثه، وتقدم أن إضافة الثلث إلى النفس ظاهرة في إرادة إبقائه على ملكه، ومقتضى ذلك أن أجرة الاستئجار للحج لا ترجع إلى الورثة على كل حال، بل تبقى على ملك الميت وتصرف في شؤونه.

ولا فرق فيما ذكر بين عدم استظهار تعدد المطلوب من الوصية كما في الوصية بأداء حجة الإسلام، أو استظهار ذلك منها

كما في الوصية بأداء الحج التطوعي. نعم في الحالة الثانية إذا لم يمكن تنفيذ الوصية لمانع خارجي يلزم صرف أجرة الاستئجار للفعل الموصى به في خصوص ما هو الأقرب إليه في نظر الموصي لا في مطلق موارد الثلث.

وأما ما ذكر من أنه لو سلم استظهار تعدد المطلوب من الوصية فإنما هو فيما إذا لم يحصل المطلوب الأول للموصي - وهو حجة الإسلام في المقام - وأما مع تحققه ولو بفعل المتبرع فلا تصل النوبة إلى الصرف في مطلق وجوه البر.

ففيه أن مبنى استظهار تعدد المطلوب من الوصية هو كون المتفاهم العرفي منها إرادة الموصي صرف ماله في مصلحته مهما أمكن ذلك، وهذا ما لا يفرق فيه بين كون تعذر صرفه في الاستئجار للفعل الموصى به لمانع خارجي أو لمبادرة الغير إلى الإتيان به بحيث لم يبق محل لتنفيذ الوصية بشأنه، فتدبر.

والحاصل: أن ما أفاده السيّد الأستاذ رحمته في مفروض هذه الصورة من أن المال لا يرجع إلى الورثة، بل يصرف في وجوه البر أو يتصدق به عن الميت صحيح في أصله، وإن كانت عبارته ليست كما ينبغي - كما أن عبارة السيّد صاحب العروة رحمته

كذلك - فإنّ التصدّق وجه من وجوه البر، فلا يناسب عدّه في مقابلها.

هذا مضافاً إلى أنه مع تصدي الموصي لتعيين مصارف الثلث لا يحق للموصي صرف بدل الاستئجار في مطلق وجوه البر أو التصدق به عنه، كما لو قال: «اصرفوا ثلثي في أداء حجة الإسلام عني وفي قضاء الصلاة والصيام ورد المظالم والكفارات» فتبرع أحدهم بأداء الحج عنه، فإنّه يجب أن يصرف بدل الحج في الموارد الأخرى إلّا إذا زاد فيصرف الزائد في سائر ما ينفع الميت مع تقديم الأهم فالأهم من الواجبات إن كان عليه شيء منها وإلا فمن المستحبات والخيرات.

الصورة الثانية: ما إذا أوصى بإخراج الحج عنه بمبلغ معين من دون تحديده من الثلث.

وفي هذه الصورة إذا بني على أن المستظهر من الوصية هو إرادة إبقاء ذلك المبلغ في ملكه وصرفه في أداء الحج عنه، أو استظهر منها تعدد المطلوب، أي إرادة صرفه في أداء الحج إن أمكن وإلا ففي ما هو الأقرب إليه من وجوه البر، فاللازم - مع تبرع الغير بالحج - أن يصرف المبلغ في سائر شؤون الموصي إذا لم يكن يتجاوز



ثلث تركته، وإلا فلا بد من موافقة الورثة في الزائد عليه.

ولكن قد تقدّم في شرح بعض المسائل السابقة عدم تمامية أيّ من الاستظهارين، أي: إنّ الوصية بأداء عمل بمبلغ معين غير ظاهرة في إرادة إبقاء ذلك المبلغ على ملك الموصي، كما أنّها غير ظاهرة في إرادة تعدد المطلوب إذا كان العمل الموصى به من قبيل الواجب كما هو مورد الكلام.

وأما ما ذكره جمع من الأعلام (رضوان الله عليهم) - كالمحقّق النائيّ والسيد الأصفهانيّ - في مورد الإيصاء بصرف مال في مورد معين، من أنّ المستفاد من النصوص كرواية علي بن مزيد وغيرها جريان حكم تعدد المطلوب عليه وإن لم يكن ظاهرًا في ذلك، فقد مرّ الخدش فيه، وبيان عدم تماميته، ولا حاجة إلى الإعادة.

الصورة الثالثة: ما إذا أوصى بإخراج حجة الإسلام من تركته من غير تعيين مبلغ لها ولا تحديد إخراجها من الثلث.

ويظهر حكم هذه الصورة مما مرّ في الصورة السابقة، فإنّه إذا لم يلتزم فيها بصرف بدل أجره الحج في سائر شؤون الميت، فالأمر هاهنا أوضح.

وبذلك يظهر أن ما أفاده المحقق

النائيّ والسيد الأصفهاني (قدّس سرّهما) وآخرون من أنّه مع تبرع الغير بالحج لا ترجع أجره الاستئجار إلى الورثة إذا كانت معينة من قبل الموصي إنما يتم في صورة الوصية بإخراجها من الثلث لا مطلقًا.

كما أنّ ما ذكره من رجوعها إلى الورثة إذا لم تكن معينة من قبل الموصي إنما يتم في غير تلك الصورة.

[بحوث في شرح مناسك الحج: ج ٧]

اولا و الحمد لله



دَفْنُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ

السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ تَقِيُّ الْحَكِيمِ

وآخر إلى أبي طلحة زيد بن سهل وكان يلحد لأهل المدينة، ثم قال: اللّهم خر لرسولك^(٢)، وكانت الخيرة لأبي طلحة فقد سبق صاحبه إليه وجاء به مسرعاً، فنال حظّه من شقّ القبر له.

وأنزل النبي ﷺ إلى القبر ونزل معه - فيما يحدث - وهو وأبوه وأخواه الفضل وقثم والإمام عليه السلام وشقران مولى رسول الله ﷺ وأسامه بن زيد^(٣) وخرجوا جميعاً عنه، وكان أخوه قثم آخر الناس عهداً به^(٤).

وأهيل التراب عليه، ووقف آل البيت على القبر - وكان من أفجع المناظر العاطفية ذلك الموقف الرهيب، وهم يتململون من الجزع

(٢) انظر المصدر السابق: ج ٢ قسم ٢ ص ٧٤.

(٣) انظر تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٢٠٤.

(٤) انظر المصدر السابق.

وما أدري.. هل شغلت هذه الأحداث ابن عباس عن متابعة بطله ومعه أبوه وأخوه الفضل وبعض الصحابة، وهم بين مباشر لتغسيل الجسد الطاهر ومناول له الماء؟ وهل شاهدتهم وهم يكفّنونه ويعدّونه للصلاة عليه؟ ثم هل شاهد آل البيت وهم يصلّون عليه؟ وما يدريك؟ لعلّه كان في طليعة المصلّين، وما كان ليفوته شرف هذه الصلاة على سيّدهم.

ثم شاهد المهاجرين والأنصار والنساء والصبيان والإمام عليه السلام يدخلهم رسلاً رسلاً لا يؤمّمهم أحد في الصلاة^(١)، حتى إذا انتهوا منها بعث - كما يروي هو - رجلاً إلى أبي عبيدة بن الجراح، وكان يضرح على طريقة أهل مكة،

(١) انظر طبقات ابن سعد: ج ٢ قسم ٢ ص ٦٨.

والألم - ووقف بينهم بطله وهو يلتمس منافذ للصبر فلا يجد إليها سبيلاً وإذا بصوته ينطلق وقد أكبَّ على القبر بوجهه: **«إِنَّ الصبر الجميل إِلَّا عنك يا رسول الله، وَإِنَّ الجزع لقيح إِلَّا عليك، وَإِنَّ المصاب بك لجليل، وَإِنَّه قبلك وبعذك لجلل»**^(١).

وهي كلمات - على إيجازها - تصوّر مدى ما تحمّله من طاقة شعورية محرقة من اللوعة والآلام، وبخاصّة إذا عرفنا أنّها صدرت من أقوى الناس على ضبط الأعصاب، وأقدرهم على الصبر، فهو هنا لا يطيق الصبر بل لا يستحسنه، وما كان المقام مقام صبر وتسلي والمفقود رسول الله ﷺ.

ثم توجه بآل بيته إلى حيث يتفرّقون؛ ليفرغ كلّ منهم إلى التنفيس عن هذا الشعور بالبكاء والعيول ومعاودة الذكريات الحارّة. ولك أن تحدّث عن مدى شعور صاحبنا بهذا الخطب بعد أن فرغ إلى نفسه، وقد سبق أن عرفت مدى علائقه برسول الله ﷺ، وكأني به الآن وهو شارد الفكر موزع الإحساس، بين صور متلاحقة يحضر بعضها بعضاً ويأخذ بعضها برقاب بعض،

(١) الإمام علي بن أبي طالب: مطبعة دار الكتب، مصر، سنة الطبع ١٩٤٧م، ج ١٩ ص ١.

وتداعي المعاني ينقله بينها، وربّما شَرّق به وغرّب، فهو يستحضر رسول الله ﷺ وهو حي ثم يجرّه تفكيره إلى موقفه من بطله، وموقفه من النص عليه، ثم محاولاته لتأكيد ذلك، ثم موقفهم من حديث الدواة يوم الخميس، ثم معاملاتهم لهم وتعييسهم في وجوههم واستهانتهم بمركزهم، وقولة قائلهم: ما رسول الله إِلَّا كنخلة في كباء، ونظائر ذلك مما صدر قبل وفاة النبي ﷺ، ثم موت النبي ﷺ، ومسارعة القوم إلى أخذ حقّه، ومجيئهم لأبيه ليخزلوه عن بطله، وموقف أبيه منهم.. وهكذا تسلسل في خواطره حتى تنتهي به إلى موقفه مع أسرته وبطله قبل قليل على القبر، والمساحي تعمل عملها لتهيل التراب عليه، وما أدري هل أستطاع أن ينام وهو في غمرة هذه الخواطر؟!.. وما يدريك لعلّه نام ولاحقته في منامه بشكل كابوس مفزع فأيقظته مراراً، وهو خائف فزع ينتظر الصبا بما يملكه من صبر، لعلّه يخفّف من أثقال هذا الكابوس الجاثم على صدره، على أنّه كان لا يدري ما يبيته لهم الصباح مع أحداث.

[عبد الله بن عباس]



سؤال وجواب

فقيه أهل البيت

السيد محمد سعيد الحكيم

الشواهد لهم. ولأنهم أهل حجة واستدلال، ولا تتم لهم الحجة إلا بالاطلاع على ما عند الآخرين وتمحيصه ومحاكمته.

ويشهد بذلك أمران:

الأول: أن مكتباتهم العامة والخاصة مملوءة من تراث الجمهور وكتبهم. وهي في المكتبات العامة مذكورة في الفهارس المعروضة في متناول كل من يطلبه.

الثاني: أن كثيراً من مؤلفيهم، يشيرون للمصادر التي يرجعون إليها ويأخذون منه، وفيها الكثير من ذلك التراث. بل كثيراً ما تزيد مصادرهم السنية على مصادرهم الشيعية.

س١: نحن معاصر المسلمين من أهل السنة والشيعة يلزمنا التعرف على التراث الإسلامي لكلا الطائفتين، وخصوصاً أن أهل السنة في غياب عن تراثهم أولاً، وعن تراث الشيعة ثانياً. فما أهم الكتب المعتمدة في العقيدة والفقه والحديث والسيرة عندكم؟ أدام الله فضلكم.

ج: قد أدرك علماء الشيعة وأهل البحث منهم من يومهم الأول إلى يومنا هذا ما تقول، فهم على اطلاع وبصيرة تامين بتراثهم وتراث جمهور السنة. وهم لا يتحسسون من تراث جمهور السنة، بل يجدون في الاطلاع عليه تميماً لثقافتهم، وتأكيذاً لحجتهم، لأن فيه الكثير من

مصادر التراث الشيعي في الحديث

وبعد بيان ذلك نقول: التراث الشيعي كثير جداً وقد تضمنته كتب كثيرة، نذكر منها في الحديث..

١ - (الكافي) تأليف أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي تث، المتوفى سنة (٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ). وهو في أحاديث النبي عليه السلام والأئمة من أهل البيت عليهم السلام. مبوّب تبويباً جيداً. يبدأ بالأصول - في العقائد والأخلاق والآداب وما يناسب ذلك - ثم بالفروع مستوعباً لكتب الفقه وأبوابه المختلفة، وينتهي بالروضة في متفرقات متنوعة.

ويمتاز هذا الكتاب - مضافاً إلى جامعيته للأصول والفروع - بأمرين:

أحدهما: أنّه الكتاب الوحيد التام الموسع الذي وصل إلينا مما أُلّف في عصور الأئمة (عليهم الصلاة والسلام)، فإنّه أُلّف في أواخر عصر الغيبة الصغرى، الذي يعتبر من عصور حضور الأئمة عليهم السلام، لإمكان الرجوع فيه للإمام من طريق نوابه الخاصين الذين كانوا على اتصال مباشر به.

كما أنّه العصر الذي تكامل فيه للشيعه عقائدهم وفقههم وثقافتهم الدينية. فقد استطاع الأئمة عليهم السلام في المدة الطويلة التي قضوها مع الشيعة - مع الضغط الشديد

عليهم - أن ييثوا تعاليمهم تدريجاً حتى تبلورت وتركزت، وقام للشيعة كيان علمي - متمثل في الحوزات العلمية - يحمل تلك التعاليم ويحفظه، بحيث أمنوا عليهم السلام عليها من الضياع والتحريف.

ومن أجل ذلك أمكن وقوع الغيبة الكبرى (سنة ٣٢٩ هـ) بانقطاع الإمام عليه السلام عن الاتصال المباشر بالشيعة، لاكتفائهم بما عندهم من تعاليم أئمتهم عليهم السلام، وقيام الحجة به عليهم وعلى الناس ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(١).

ثانيهما: أن مؤلفه تث قد صرّح في مقدمته بأنّه قد توخّى جمع الأخبار الصحيحة عن المعصومين (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

ولا يريد بصحة أخباره أنّه رواها بطرق صحيحة كلّ رجالها ثقات، لعدم ظهور هذا المصطلح في عصره (رضوان الله عليه)، بل الظاهر أنّه يريد أنّه رواها من كتب مشهورة معروفة في عصور الأئمة عليهم السلام معول عليها عند الشيعة، على مرأى من الأئمة ومسمع منهم. بل قد ثبت عرض بعضها على الأئمة عليهم السلام وتصحيحهم له.

ويشهد بصدقه في ذلك، وبحسن اختياره للأحاديث، ثناء قدماء علماء (١) سورة الأنفال: الآية ٤٢.



الطائفة - ممن تأخر عنه - على الكتاب المذكور وعلى مؤلفه، وأنه جليل القدر عارف بالأخبار عالم به، وأنه أوثق الناس في الحديث وأثبتهم، حتى عرف بين علماء الشيعة بثقة الإسلام.

ولا نعني بذلك التعهد بصحة كل خبر من أخباره. فإن ذلك أمر متعذر مع بُعد العهد، وخفاء كثير من قرائن الصحة وشواهدا علين، وتعرض الإنسان للخطأ والغفلة.

بل نعني أن الكتاب يصلح أن يعكس صورة عامة إجمالية عن مفاهيم أهل البيت عليهم السلام، ويعطي ملامح واضحة له، في المجالات التي طرقه. فإن الواقع الإجمالي للكتاب هو الصحة، وصدق الخبر. خصوصاً إذا كان رجال السند ثقات، أو تعددت الأخبار في مضمون واحد، أو مضامين متقاربة.

نعم قد لا يعول على الخبر وإن كان موثقاً بصدوره، لعلّة فيه، كالتقية، ووجود المعارض له، وغير ذلك مما يعرفه أهله.

٢ - كتاب (من لا يحضره الفقيه) تأليف أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف عند الشيعة بالصدوق رحمته الله، المتوفى سنة ٣٨١ هـ. وهو أيضاً في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام،

ومستوعب لأبواب الفقه. قد التزم مؤلفه فيه غالباً الاقتصار على ما يناسب اختياراته الفقهية.

٣ - (تهذيب الأحكام) لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي رحمته الله، المتوفى سنة ٤٦٠ هـ. وهو أيضاً في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته عليهم السلام، مستوعب لأبواب الفقه.

٤ - (الاستبصار) لشيخ الطائفة السابق الذكر. مستوعب لأبواب الفقه. قصد فيه الجمع بين الأخبار المتعارضة، ولو بصورة متكلفة، ذهاباً منه إلى أن الجمع مهما أمكن أولى من الطرح. وقد استخرجه من كتابه السابق (التهذيب)، فهو مختصر منه. وهذه الكتب لما لها من الأهمية والمكانة تعرف عند الشيعة بـ (الكتب الأربعة).

٥ - (وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) تأليف محمد بن الحسن الحر العاملي رحمته الله، المتوفى سنة ١١٠٤ هـ. قد جمع فيه أحاديث الكتب السابقة، وزاد عليها أحاديث كثيرة مأخوذة من كتب أخرى لم تبلغ شهرتها شهرة تلك الكتب. وقد استوعب فيه أبواب الفقه.

٦ - (بحار الأنوار) تأليف الشيخ محمد باقر ابن الشيخ محمد تقي المجلسي رحمته الله، المتوفى سنة ١١١١ هـ. وهو في الحديث

الصدوق المتقدّم.

٣ - المقنعة. للشيخ المفيد محمد بن

محمد بن النعمان تَتَمُّ، المتوفى سنة ٤١٣ هـ.

٤ - النهاية. للشيخ الطوسي المتقدّم.

٥ - المراسم. لحمزة بن عبد العزيز

الديلمى تَتَمُّ، المعروف بسلار، المتوفى سنة

٤٤٨ أو ٤٦٣ هـ.

٦ - الوسيلة. لابن حمزة تَتَمُّ، من علماء

القرن الخامس الهجري.

أيضاً. جمع فيه الحديث من كتب كثيرة. وقد
استوعب أصول العقيدة، والسماء والعالم،
والمعاد، وقصص الأنبياء ﷺ وسيرهم،
وسيرة النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، والفقه،
والأدعية، والأخلاق، وغير ذلك.

ويبدأ في كل باب بما يناسبه من
الآيات القرآنية، ويتكلّم فيه، ثم يتعرّض
للأحاديث المناسبة لذلك الباب، ويشرح
منها ما يحتاج للشرح.

ولم يقتصر فيه على الأحاديث المعتبرة،
بل ذكر حتى شواذ الأخبار وغرائبها، منبهاً
في كثير من الموارد إلى غرابته. فهو كتاب
كبير جامع طبع مؤخراً فيما يقرب من مائة
مجلد.

وهناك كتب كثيرة في الحديث لا يسعنا
استقصاؤها. وهي تشتمل على فنون العلم
المختلفة من العقيدة والفقه والسيرة، وعلل
الأحكام، وأحوال الأئمة ﷺ، وغير
ذلك.

مصادر التراث الشيعي في الفقه

أمّا كتب الفقه فهي تنقسم إلى قسمين:

الأول: المتون الفقهية. وهي التي
يقتصر فيها على فتاوى مؤلفيها، على
اختلافهم في الآراء. ونذكر منهم..

١، ٢ - المقنع، والهداية. للشيخ

الوليد الجديد

العلامة الشيخ باقر شريف القرشي

أطل على العالم الإسلامي نور الإمامة من بيت أذن الله أن يرفع، ويذكر فيه اسمه، وانبتق من دوحة النبوة والإمامة فرع طيب زاك رفع الله به كيان الإسلام، وأشاد به صروح الإيمان، وأصلح به بين فئتين عظيمتين.

لقد استقبل حفيد الرسول ﷺ وسبطه الأكبر سيد شباب أهل الجنة دنيا الوجود في شهر هو أبرك الشهور وأفضلها حتى سمي شهر الله، وهو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وكان ذلك في السنة الثانية، أو الثالثة من الهجرة^(١) وقد شوهدت في طلعة الوليد طلعة الرسول ﷺ وبدأت فيه شمائل النبوة

(١) الإصابة: ج ١ ص ٣٢٨، الاستيعاب: ج ١ ص ٣٦٨، تأريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٧٣، دائرة المعارف للبستاني: ج ٧ ص ٣٨. ذكر هؤلاء ان ولادته ٧ كانت في السنة الثالثة من الهجرة في النصف من شهر رمضان، وجاء في شذرات الذهب: ج ١ ص ١٠ ان ولادته كانت في الخامس من شهر شعبان. وهو اشتباه ظاهر ولعله اشتبه بالامام الحسين ﷺ فان ولادته كانت في الخامس من شهر شعبان وذهب جماعة أن ولادته ﷺ كانت في السنة الثانية من الهجرة، وجاء في مرآة العقول ص ٣٩٠ ما نصه: إن التحقيق انه لا منافاة بين تأريخي الولادة لأن كلا مبني على اصطلاح في مبدأ التأريخ غير الاصطلاح الذي عليه بناء الآخر وتفصيله أن فيه ثلاثة اصطلاحات، (الأول): أن يكون مبدؤه في شهر ربيع الأول فإن الهجرة إنما كانت فيه، وبناء الصحابة عليه إلى سنة ستين ورواية ان الحسن ولد سنة اثنتين من الهجرة محمول على هذا المبني. (الثاني) أن يكون مبدؤه شهر رمضان السابق على شهر ربيع الأول الذي وقعت فيه الهجرة لأنه أول السنة الشرعية ورواية أن الحسن ﷺ ولد سنة ثلاث مبني على هذا. (الثالث): ما اخترعه عمر وهو أن مبدؤه المحرم انتهى.

وما أفاده صاحب (مرآة العقول) رافع للتعارض بين القولين وأما ما أفاده الأستاذ محمد فريد وجدي في (دائرة المعارف ج ٣ ص ٤٤٣) أن ولادة الحسن ﷺ كانت قبل الهجرة بست سنين فهو مخالف لإجماع المؤرخين فإنه قبل الهجرة لم يكن الإمام أمير المؤمنين متزوجا بالصديقة كما أوضحنا ذلك، وأما كيفية ولادة الصديقة بالإمام ﷺ فقد جاء بيانها في تأريخ الخميس ج ١ ص ٤٧٠ انه لما حان وقت ولادتها بعث إليها رسول الله ﷺ أسماء بنت عميس وأم أيمن فقرأتا عليها آية الكرسي والمعوذتين وحدثت أسماء فقالت: قبلت فاطمة بالحسن ﷺ فلم أر لها دما فقلت

ومحاسن الإمامة.

ولما أذيع نبأ ولادة الصديقة بالمولود المبارك غمرت موجات من السرور والفرح قلب النبي ﷺ فسارع إلى بيت ابنته - أعز الباقيين، والباقيات عليه من أبنائه - ليهنئها بمولودها الجديد وبيارك به لأخيه أمير المؤمنين، ويفيض على المولود شيئاً من مكرمات نفسه التي طبق شذاها العالم بأسره ولما وصل ﷺ إلى مثنى الإمام نادى: «يا أسماء: هاتيني ابني..»، فانبرت أسماء، ودفعته إليه في خرقة صفراء فرمى بها.

وقال: «ألم أعهد إليكم أن لا تلفوا المولود في خرقة صفراء؟».

وقام ﷺ فسرّه، وألباه بريقه^(١) وضمه إلى صدره، ورفع يديه بالدعاء له.

«اللهم: إني أعيزه بك، وذريته من الشيطان الرجيم..»^(٢).

سنن الولادة:

وأخذ ﷺ بإجراء مراسيم الولادة وسننها على مولوده المبارك وهي:

١ - الأذان والإقامة: وأذن ﷺ في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى^(٣) وفي الخبر: «أن ذلك

عصمة للمولود من الشيطان الرجيم»^(٤).

همسة رائعة همس بها خير بني آدم في أذن وليده، ليستقبل عالم الوجود باسمى ما فيه، فأى بداية منح بها الإنسان أفضل من هذه البداية التي منح بها السبط الأكبر؟! فإن أول صوت قرع سمعه هو صوت جده الرسول ﷺ علة الموجودات، وسيد الكائنات، وأنشودة ذلك الصوت.

يا رسول الله إني لم أر لفاطمة دماً في حيض ولا نفاس فقال ﷺ أما علمت أن فاطمة طاهرة مطهرة لا يرى لها دم في طمث ولا ولادة، وكانت مدة حملها به ستة أشهر، وذهب صاحب (الفصول المهمة) إلى خلافه وعليه فلم يولد مولود عمره ستة أشهر فعاش إلا عيسى بن مريم ﷺ كما ذكر ذلك فقيد العلم الأميني؛ في (أعيان الشيعة ج ٤ ص ٣).

(١) سراه: قطع سرتّه، ألباه بريقه، مأخوذ من اللباء، وهو أول اللبن عند الولادة، والمراد أنه ﷺ اطعمه بريقه كما يطعم الصبي اللباء.

(٢) دائرة المعارف للبهستاني: ج ٧ ص ٣٨.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج ٦ ص ٣٩١، صحيح الترمذي: ج ١ ص ٢٨٦، صحيح أبي داود: ج ٣٣ ص ٢١٤، وقيل إنه لم يفعل ذلك بنفسه، وإنما أوعز إلى أسماء بنت عميس وأم سلمة أن تفعل ذلك به ساعة الولادة ذكره الشبلنجي في نور الأبصار: ص ١٠٧.

(٤) الجواهر كتاب النكاح.

«الله أكبر لا إله إلا الله».

بهذه الكلمات المنطوية على الإيمان بكل ماله من معنى يستقبل بها الرسول ﷺ سبطه فيغرسها في أعماق نفسه، ويغذي بها مشاعره، وعواطفه لتكون أنشودته في بحر هذه الحياة.

٢ - التسمية: والتفت ﷺ إلى أمير المؤمنين، وقد أترعت نفسه العظيمة بالغبطة والمسرات، فقال له: «هل سميت الوليد المبارك؟». فأجابه الإمام: «ما كنت لأسبقك يا رسول الله».

وانطلق النبي ﷺ فقال له: «ما كنت لأسبق ربي...».

وما هي إلا لحظات وإذا بالوحي يناجي الرسول، ويحمل له (التسمية) من الحق تعالى يقول له جبرئيل: «سمه حسناً»^(١).

حقاً إنّه اسم من أحسن الأسماء وكفى به جمالاً وحسناً أن الخالق الحكيم هو الذي اختاره ليدلّ جمال لفظه على جمال المعنى وحسنه.

(١) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٤٧٠ وجاء فيه أن أمين الوحي جبرئيل هبط على النبي ﷺ فقال له: إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك علي منك بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبى بعدك فسم ابنك هذا باسم ولد هارون، فقال له ﷺ: وما كان اسم ابن هارون يا جبرئيل؟ فقال: شبر، فقال له ﷺ: إن لساني عربي، فقال: سمه الحسن، ففعل ﷺ ذلك.

وقريب من هذا ذكره العاملي، في (أعيان الشيعة) وجاء في (اسد الغابة)، وتاريخ الخميس: ج ١ ص ٤٧٠ إن اسم الحسن لم يكن معروفاً في الجاهلية وجاء في تاريخ الخميس أن رسول الله أسماه بهذا الاسم في اليوم السابع من ولادته، وهذا القول بعيد لأن التسمية وقعت عقب الولادة بلا فصل كما ذهب إليه كافة المؤرخين، وجاء في الاستيعاب: ج ١ ص ٣٦٨، وفي الأدب المفرد: ص ١٢٠ انه لما ولد الحسن ﷺ جاء رسول الله ﷺ فقال: أروني ابني فما اسميته؟ قالوا حرباً، فقال ﷺ بل هو حسن، فلما ولد الحسين قال: أروني ابني فما اسميته؟ قالوا حرباً، فقال ﷺ بل هو حسين، فلما ولد الثالث قال: ما اسميته؟ قالوا حرباً، فقال ﷺ بل هو محسن، ثم قال ﷺ إني سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير، ويمكن ان يقال إن هذه الرواية موضوعة، أولاً إن العداء بين الهاشميين وآل حرب غير خفي فما هو المحبذ لآل البيت بتسمية ابنائهم باسم حرب الذي ينتمى إليه الأمويون وثانياً إن إعراض الرسول ﷺ عن اسم حرب حين ولادة الحسن ﷺ هو كاف في إعراض آل البيت عن تسمية الحسين والمحسن بهذا الاسم، وثالثاً إن المحسن لم يولد في حياة الرسول ﷺ فهذه الامور تبعد صحة الرواية التي ذكرها صاحب (الاستيعاب) وغيره وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن علي ﷺ انه قال: لما ولد لي الحسن سميت به باسم عمي حمزة ولما ولد الحسين سميت به باسم اخي جعفر فدعاني رسول الله ﷺ فقال إن الله قد أمرني أن أغير اسم هذين فسماهما حسناً وحسيناً، وهذه الرواية أيضاً ضعيفة فإن الرسول ﷺ اسمى حفيديه عقب ولادتهما ولم يذهب احد إلى ما ذكره الإمام أحمد.

٣ - **العقيقة**^(١): وانطوت سبعة أيام على ولادة حفيد الرسول ﷺ فاتجه ﷺ إلى بيت الإمام ﷺ ليقوم ببعض التكريم والاحتفاء فجاء بأقصى ما عنده من البر والتوسعة فعق عنه بكبش واحد^(٢) وأعطى القابلة منه الفخذ وصار فعله هذا سنة لأُمَّته من بعده.

٤ - **حلق رأسه**: وحلق ﷺ رأس حفيده بيده المباركة، وتصدق بزنته فضة على المساكين^(٣) وطفى رأسه بالخلوق^(٤) حقا لم نر حنانا مثل هذا الحنان، ولا عطفًا يضارع هذا العطف.

٥ - **الختان**: وأجرى ﷺ عليه الختان في اليوم السابع من ولادته^(٥) لأن ختان الطفل في ذلك الوقت أطيب له وأطهر^(٦).

٦ - **كنيته**: وكناه النبي ﷺ أبا محمد^(٧) ولا كنية له غيرها، وبهذا انتهت جميع مراسيم الولادة التي قام النبي ﷺ بها لسبته الأكبر.

ألقابه: ولقب ﷺ بالسيط، والزكي، والمجتبى، والسيد، والتقي.

ملامحه: أمّا ملامحه، فكانت تحاكي ملامح جده الرسول ﷺ فقد حدث أنس بن مالك

(١) العقيقة في اللغة صوف الجذع وشعر كل مولود من الناس وهى مأخوذة من العق وهو الشق والقطع سمي الشعر المذكور بذلك لأنه يخلق عنه والعقيقة من المستحبات الأكيدة وذُهب بعض الفقهاء إلى وجوبها، وقال ﷺ حين ذبحها بسم الله عقيقة عن الحسن اللهم عظمها بعظمه ولحمها بلحمه اللهم اجعلها وقاء لمحمد وآله.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٧٠ مشكل الآثار ١ / ٤٥٦، الحلية ٧ / ١١٦، صحيح الترمذي ١ / ٢٨٦، أعيان الشيعة ج ٤ ص ١٠٨، وذكر الشبلنجي في نور الأبصار والطحاوي في مشكل الآثار ١ / ٤٥٦، والحاكم في المستدرک: ج ٤ ص ٢٣٧ أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين عن كل واحد بكبشين وهذه الرواية ضعيفة فقد طعن بها شمس الدين الذهبي في تلخيص المستدرک المطبوع على هامش مستدرک الحاكم: ج ٤ ص ٢٣٧ فقال إن راويها سوار وهو ضعيف الرواية هذا أولاً وثانياً إن أئمة الفقه لم يذكروا في تشريع العقيقة إلا واحدة.

(٣) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٤٧٠، نور الأبصار: ص ١٠٧ صحيح الترمذي: ج ١ ص ٢٨٦ وجاء فيها أن زنة شعره كانت درهماً أو بعض درهم.

(٤) الخلق: طيب مركب من زعفران وغيره، وفي البحار: ج ١٠ ص ٦٨ إنَّ العادة في الجاهلية كانوا يطلون رأس الصبي بالدم، فقال ﷺ: **الدم من فعل الجاهلية**، ونهى أسماء عن فعل ذلك.

(٥) نور الأبصار: ص ١٠٨.

(٦) جواهر الأحكام كتاب النكاح، وجاء فيه أن رسول الله ﷺ قال: **طهروا أولادكم يوم السابع فإنه أطيب، وأطهر، وأسرع لنبات اللحم، وإنَّ الأرض تنجس من بول الأغلف أربعين يوماً.**

(٧) أسد الغابة: ج ٢ ص ٩، والكنية هي أن تصدر بأب أو أم، وهي من سنن الولادة فعن الإمام محمد الباقر ﷺ: **إنَّا لنكني أولادنا في صغرهم مخافة النبز أن يلحق بهم.**



قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي من الحسن بن علي^(١) وقد صور رواة الأثر صورته بما ينطبق على صورة جده ﷺ فقالوا: إنّه كان أبيض مشرباً بحمرة أدعج العينين^(٢) ذا وفرة^(٣) عظيم الكراديس^(٤) بعيد المنكين^(٥) جعد الشعر^(٦) كث اللحية^(٧) كأن عنقه إبريق فضة^(٨) وهذه الأوصاف تضارع أوصاف النبي ﷺ حسب ما ذكره الرواة من أوصافه ﷺ، وكما شابهه جده في صورته فقد شابهه وماثله في أخلاقه الرفيعة^(٩).

رأى النبي ﷺ أنّ سبطه الحسن ﷺ صورة مصغرة عنه، يضارعه في أخلاقه، ويحاكيه في سمو نفسه، وانه قبس من سناه، يرشد أمته من بعده إلى طريق الحق، ويهديها إلى سواء السبيل، واستشف ﷺ من وراء الغيب أن كل ما يصبو إليه في هذه الحياة من المثل العليا سيحققه على مسرح الحياة، فافرج عليه أشعة من روحه العظيمة، وقابله بالعناية والتكريم، وأفاض عليه حنانه وعطفه، من حين ولادته ونشأته، وسنقدم عرضاً مفصلاً لألوان ذلك التكريم والاحتفاء الذي صدر من النبي ﷺ تجاه الحسن في حال طفولته وصباه.

[حياة الإمام الحسن عليه السلام]

(١) فضائل الأصحاب: ص ١٦٦، وفي صحيح الترمذي: ج ٢ ص ٣٠٧ عن علي ﷺ قال: الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه بالنبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك، وفي الإصابة عن البهي قال: تذاكرنا من أشبه النبي ﷺ من أهله فدخل علينا عبد الله بن الزبير، فقال: أنا أحدثكم بأشبه أهله به، وأحبهم إليه الحسن بن علي، ورواه الهيثمي في مجمع: ج ٩ ص ١٧٥، وفي المحبر: ص ٤٦٩ إنّ فاطمة ﷺ كانت تُرقص ولدها الحسن وتقول له: **وا بآبي شبه أبي غير شبيه بعلي**.

(٢) الأدعج: شدة في سواد العين مع سعتها.

(٣) الوفرة: الشعر السائل على الأذنين، أو هو الشعر المجتمع على الرأس.

(٤) الكراديس: جمع مفردة الكردوسة، وهي كل عظمين التقيا في مفصل أو العظم الذي يجتمع عليه اللحم، والمراد ضخام الأعضاء.

(٥) المنكين ثنية منكب، وهو مجتمع رأس الكتف والعضد.

(٦) الجعد: الشعر الذي فيه التواء، وتقبض، وهو خلاف المسترسل.

(٧) كث اللحية: قصرها مع كثرة شعرها.

(٨) تأريخ الخميس: ج ١ ص ١٧١، وذكر البستاني في دائرة المعارف: ج ٧ ص ٣٨ بعض هذه الأوصاف.

(٩) تأريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٢٠١، وعن الغزالي في إحياء العلوم أن رسول الله ﷺ قال للحسن: **«أشبهت خلقي وخلقِي»**.

الحكمة

بن عبد المطلب

السيد محمّد علي بحر العلوم

أجمله وأحسنه، ويقدر لأخيه أبي طالب موقفه الرائع من وديعة أبيه، بما كان يبذل له من العناية والاهتمام، حتى قال محمد ﷺ: «كانت فاطمة بنت أسد - زوجة عمي - تجيع أولادها وتشبعني، وتركهم شعباً وتدهنني، ولم يكن لدى عمي أبي طالب همٌّ إلّا حمايتي، والاهتمام بأمرِي».

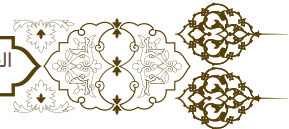
وامتدّ الزمن، وعلى امتداده توسّعت شخصية (فتى عبد المطلب)، كلّ شيء فيه يدلّ على أنّه شخصية المستقبل ولم تغب عن ذهن حمزة كلمة أبيه - وهو على فراش الموت -: «إنّ له شأنًا عظيمًا يغبطه عليه الناس».

وكان حمزة يسرّ ويفرح عندما يلمح ابن أخيه، ويكتّم سروره ولا يتظاهر بفرحه، كان



لم يكن كلّ أولاد عبد المطلب مثل ما كان له أبو طالب حامياً، وناصرًا، ومدافعًا، نعم كان حمزة أقرب الأعمام له بعد أخيه عبد مناف. وحمزة تربطه بابن أخيه أكثر من صلة، فقد كان أخًا له بالرضاعة، وكان له ترب الصبا، يكبره بأربع سنوات، وكان يتعهده في كثير من الأحيان، وكانت هذه بمجموعها عاملاً يقرب بين القليلين، ويؤلّف بين الروحين.

لقد كان يضمّر له من الحبّ والوفاء





هذا الميل النفسي ينمو مع نمو محمد، ولا يستطيع تفسيره ولا بد أن يعثر على تفسير ولو بعد حين. ذلك هو الإيمان الذي تولد في أعماقه وازدهر بعد زمان.

ومرّت بالنبي أحداث كانت لها الأثر في رفع الستارة عن شخصيته، وكان حمزة يتابع هذه القضايا بشيء من الاهتمام..

ومن أبرزها حينما اختلفت قريش فيما بينها، على وضع الحجر الأسود في مكانه بعد بنیان الكعبة، فكانت كل قبيلة تود أن تحظى بهذا الشرف الكبير، وكاد النزاع يؤدي إلى معركة واتفق الجميع على أن أول قادم عليهم سيكون هو الحكم في ذلك، ولم تنطو لحظات حتى كان المقبل عليهم هو محمد بن عبد الله واستبشرت الوجوه به، فهو المعروف عندهم بـ(الصادق الأمين) وبسط الرسول رداءه، ووضع فيه الحجر في وسطه، وأمر كل زعيم قبيلة أن يحمل جانباً من الرداء، وإذا ما رفعوه، أخذه ووضعوه في مكانه.

ولم يهن ذلك على طغاة قريش، فقال قائلهم: واعجبا لقوم أهل شرف ورياسة، وشيوخ وكهول، عمدوا إلى أصغرهم سنّاً وأقلهم مالاً، فجعلوه عليهم رئيساً وحاكماً!! أما واللات والعزى ليفوقهم سبقاً، وليقسمن بينهم حظوظاً وجدوداً

وليكونن له بعد هذا اليوم شأن ونبأ عظيم.. وكان حمزة في خضم هذه الأحداث ذلك الإنسان الذي يعيشها ويعيها ويحكم نفسه فيها تحكماً منصفاً، فيزداد إيماناً وحباً وتفانياً لابن أخيه، ويقف إلى جانب أخيه أبي طالب كافلة ومحاميه..

ومرّت الأيام، وأعلن محمد دعوته، ولم يستجب لها في بادئ الأمر إلا خديجة وعلي بن أبي طالب، ثم استمرت الدعوة، رغم قلة الناصر، وجدّت قريش في عرقلة حركتها، وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب، يتحين الفرص، فإذا ما ظفر به وحيداً صبّ عليه جام غضبه، وسخر منه، وآذاه بأنواع الأذى.

لكنّ ذلك كلّ لم يثنه عن رسالته، وإلى جانبه أبو طالب وحمزة يقفان له في كلّ نازلة يصدّان عنه عدوان الناقمين، ويدفعان عنه ظلم الحاقدين..

ومرّة جاء محمد إلى عمّه أبي طالب يشكو له أذى قريش فقد ألقوا عليه سلى ناقة فقال محمد لعمّه: «عم كيف ترى حسبي فيكم؟!» فقال له: وما ذاك يا ابن أخي؟ فأخبره بالأمر فدعا أبو طالب حمزة، وقد توشّح كلّ منهما بسيفه، وقال لحمزة: خذ السلى معك وتوجّها إلى القوم، وهم في فناء الكعبة، فلما شاهد القوم المقبلين

توسموا في وجوههم الشر وإذا ما وقفا على رؤوسهم قال أبو طالب لأخيه حمزة: مرّ السلى عليهم، ومن يعارض اقتله، فامتثل حمزة حتى أتى على آخرهم، فالتفت أبو طالب إلى ابن أخيه قائلاً: هذا حسبك فينا! برغم هذا فلم تكف قريش عن أذى محمد كلما ساعدتها الفرصة وتقسو معه حيث أمكنتها القسوة.. وكان هو بنفسه لا يرد عليها أذاها، يحتمل منهم الألم، ويطويه بين أضلاعه، اللهم إلا أن يعلم أحد الثلاثة بما أصابه، فيكون الانتقام حامياً، وهم: أبو طالب، وحمزة، وعلي، فيردون الصاع صاعين على المعتدي.

وذات يوم يمرّ النبي عند الصفاة، فإذا بأبي جهل هناك ونفسه الحاقدة تغلي في صدره، فيلتفت يمنة ويسرة، فلا يرى من يخشى صولته وغضبه، ليس معه أبو طالب، ولا على مقربة منه حمزة، ولا إلى جنبه علي، وحيد يلقيه، وهي فرصة سنحت له، فليستغلها.

وينهال الرجل المريض القلب على محمد دون خشية وخوف يشتمه فيجرحه بالكلام، ويسبّه ببذيء القول، ويفرغ كل حقه الجاهلي، ويظهر كل كوامن حسده.. ورسول الله لم يفتح شفتيه ليردّ عليه، إنّه لعلّ خلق عظيم، ويأنف أن يقابل هذا

الأحمق الجاهل، وإن امتدّ به العمر.

وينصرف بعد أن يسمع منه ما لم يسمع، ويتألم ويحزن ويطوي في نفسه أحزانه وآلامه.

ويسري الخبر إلى حلقات قريش يقطع أوصال مكة كالعاصفة، ويسبق وصول أبي جهل إليها، ويفرح من يفرح ويحزن من يحزن، ومن يرد عليه؟ والفاعل أبو جهل الشرس الفظ، وكثير منهم يرغب بأذى محمد؟ ولا يرغب أن يباشره بنفسه خوفاً من نقمة أبي طالب وبطش آله.

وأقبل أبو جهل على قومه يفخر بما عمله، ويزهو بما بدر منه فقد أرقه محمد، وسلب النوم من عينه، فما باله - وقد غنم به - أن لا يسكب كلّ ما في نفسه من لؤم كلاماً لا هوادة فيه، إذا لم يتمكن من مهاجمته بالسيف.

وكانت عادة حمزة أن لا يعود إلى بيته من سفره إلا إذا طاف بالبيت سبعا. ولا يدخل بيته إلا إذا مرّ على أندية قريش ومجالسها، مسلماً، ومتحدثاً، ومداعباً، وكان مهاباً مرموقاً ولماذا لا يكون كذلك، وهو من أعزّ فتيان قريش، وأشرفها وأقواها شكيمة، يعدّ من أبطال الهاشميين، مزهواً بقوته معتداً ببطولته.

وإنّه لفي ذلك اليوم وقد عاد من



سفر له، متوشحًا قوسه كعادته توجه إلى الكعبة ليؤدي طوافه، ويقف على أندية قريش يشارك جلّاسها أحاديثهم، فينتهي إلى حلقه امرأة، وهي مولاة لعبد الله بن جدعان، واستقبلته وقد بدا على وجهها ظل من الحزن، ثم لفت خمارها، وقالت له - ولعل دموعها سبقتها إلى الحديث -: يا أبا عمار، لو رأيت ما لاقى ابن أخيك محمد قبل قليل من أبي جهل لجزعت، فقد ظفر به، ولم يكن معه أحد، فصب عليه وابلاً من السب الفظيع، والشم القاسي، وبلغ منه ما يكره ولم يكلمه محمد بشيء..

لم يكن هذا الخبر بأقل من وقع الصاعقة على بطل الهاشميين ومادت الأرض به.. شيء لا يطاق، وكبير جدًّا على بني هاشم أن تنال مخزوم ما نالت.

وغلى الغضب في قلبه، ودارت الدنيا في عينيه.. يا للعار.

حفيد عبد المطلب وسيد قومه يصاب بمكروه، وعين لبني هاشم تطرف، الموت خير من الحياة..

ولمحت المرأة الغضب يحول على وجه حمزة، ويكاد يقطع أنفاسه، فأدار وجهه، ومضى نحو البيت، وهو يخسف الأرض بمشيته، وعيناه تلقف كلّ من يلقاه في طريقه لعلّه المتطاوّل على كرامته فيهجم

عليه.

والمرأة خلفه تهرول، وفي قلبها أكثر من فرحة، فقد ضاقت ذرعًا من شر أبي جهل، إنّه الرجل الشرس الفظ، الذي يعتدي على الناس، ويرى أنّه المتفصّل في اعتدائه، ويشاكس الكثير من الضعفاء، ويصيبهم بسوء، ولا رادع يردعه، ولا راد يرده.

وهي بهذا التفكير لمحت حمزة قد وصل إلى المسجد، وتخطى الجالسين واحدًا بعد الآخر حتى وقف على رأس أبي جهل وانفجر بوجهه صارخًا، والغضب يتطاير من عينيه: أتشتم محمدًا يا حقير، ورفع قوسه، وأنزله بعنف على رأسه فشجه، ووقع على الأرض، وكاد يثني بها، لولا بعض الجالسين فقد حالوا دون ذلك، ثم قال له: أتشتمه يا أبا جهل؟ وتبينه، وأنا على دينه وأقول ما يقول، ردّ عليّ إن أمكنك القول، وتكلّم إن ملكت الكلام؟

ولم يهن على بني مخزوم ما أصيب به زعيمهم، فتواثبوا من هنا وهناك ليأخذوا بشأهم، ولم يتزحزح حمزة، ولم ترهبه جعجعة السيوف، وقف يتحدّاهم، وهو يرفع قوسه استعدادًا لكلّ خطب، لم يهب شخصًا، ولم يطأطئ رأسه لأحد.

ويخشى أبو جهل العاقبة إذا توسّع الأمر، فيطلب منهم أن يخلدوا إلى الهدوء

والسكينة، ويتركوا أبا عماره، لأنَّه ألَحَّ في سبِّ ابن أخيه سبًّا قبيحًا.

ووصل الخبر إلى النبي ﷺ وهو في بيته، فتكشف الغمة عنه، ويشكر لعمِّه حمزة موقفه.

كانت هذه الحادثة سببًا لكشف إسلام بطل الهاشميين أسد الله، وأسد رسوله، وفي الوقت نفسه كانت بداية انطلاقة جديدة للدعوة، وقوة داعمة.. فأزداد اطمئنان أبي طالب، فقد كان يعتمد إلى حماية ابن أخيه حماية مباشرة، ويخشى عليه حتى من ظله، لذا كانت فرحته كبيرة بإعلان حمزة إسلامه.. وهو، وولده: علي وجعفر، وحمزة قوة لا يستهان بها، ويعرف قوة أخيه وبطولته أكثر من غيره، وجرب شجاعته وإقدامه أكثر من مرة..

ولم يكن هينًا على قريش إسلام حمزة وإعلان إسلامه، فقد كانت تهابه وتخشاه، ولامت أبا جهل على تهوُّره الذي يسبب لها الأزمات، ويدفع بأصحاب محمَّد إلى الصلابة والصمود.

وإذا كانت الهجرة إلى المدينة، وغادر الأصحاب متخفين متسللين، فقد شدَّ حمزة ركبته دون خشية، أو خوف من طغاة مكة، وهاجر إلى المدينة المنورة ليكون إلى جنب نبيه.

وأخلص حمزة لقضيته، ووفى لها، وعقد له النبي أول راية رفت في الإسلام، فقد أرسله مع سرية له إلى سيف البحر ليقاثل المشركين، وقبل أن يلتحم القتال حلت بالمعاهدة والاتفاق، وكان النبي يحرص دومًا أن يتجنب القتال.

وراحت الأيام تحصد الشوامخ من المواقف المشرفة لبطل الهاشميين كلَّها تعبر عن شرف العقيدة، والإخلاص المتناهي. وحلَّ يوم بدر..

وتوقف الشيخ أبو معاذ عن الكلام، ومسح بكمِّه قطرات من العرق انتشرت على جبينه، ثم غام في هدوء عارض لم يطاول أكثر من لحظات بعدها عاود الحديث، وقد أشرق وجهه: كان يوم بدر عظيمًا، فقد تجلَّت فيه البسالة الهاشمية والبطولة الرائعة، أبو عماره يجول ويصول، لم يرجع سيفه خائبًا يغمده في صدر ذاك، ويجندل ذلك، ويصيح بأعلى صوته: أين ابن أبي طالب، أين ابن أخي؟ فيجيبه علي من وسط المعركة: ملتقانا آخر الجيش، ويفريان الحشد المتراكم أمامهما، هذا من جانب، وذاك من جانب، وهما يكبران، حتى يلتقيا في مؤخرته، وأسيافهما تقطر دمًا.

ويحث حمزة المسلمين على القتال، وهو يصيح:



قال رسول الله: **والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة..**

ثم أردف الشيخ أبو معاذ، بعد صمت قليل استرد أنفاسه في خلاله:

وكنّا قد اجتمعنا يوماً في مسجد الرسول نستعرض بدرًا وميدانها، فكان الأصحاب يتبارون في ذكر من قتل بسيف حمزة، وعلي بن أبي طالب، وكيف جندلاً الأبطال، وهذا العمالقة، حتى استغاثت قريشاً من بطولتي: أسد الله ورسوله وفتى أبي طالب، وما أوقعا فيها من خسائر فادحة.

وبقي هذا الخزي يلاحق قريش وأعوانها، وكان طعم الهزيمة علقماً، وثقل الخسارة مجهداً يقض المشركين في ليلهم ونهارهم. وصمّموا على الثأر، تصميم الموتور، وإصرار المغبون وكان التجاوب فيما بينهم - وخاصة قريش - مساعداً لجمع فلولهم، وكيف لا تكون كذلك، وكلّ قبيلة أصابها ما أصابها من عار الخسارة الشنعاء عاراً لا يشابهه عار، وخسارة لا تضاهيها خسارة.. ولم يطفأ لهب قريش، ولم يكشف حزنها إلا قتل أحد الثلاثة: محمد، وحمزة، وعلي.

ودارت رحى الحرب بين المسلمين والمشرّكين حامية في (أحد) تارة على المسلمين، وأخرى على المشركين، كرّ وفرّ.. وأبو سفيان يجول في وسط أصحابه يذكرهم بعار (بدر) وقتلاهم، فيها ومجدهم المندثر، ويصرخ ملء شديقه: لا بدّ من جولة تطيح فيها الرؤوس، وترهق بها الأرواح، وتعتلي السيوف القمم، عند ذاك أمّا: الثأر أو الموت..

وكلّ موتور يتصيّد واتره، لعلّه يخفّف من حزنه بما أصيب.

وكان جبير بن مطعم موتوراً من حمزة بقتله عمّه طعيم بن عدي يوم بدر، وكانت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان موتورة من حمزة بقتله عمّها يوم بدر، وهناك البيوتات الكثيرة من قريش وغير قريش موتورة من علي، وحمزة.

ويوم عزمت قريش على الخروج لقتال المسلمين عاهد جبير بن مطعم عبده وحشي - وكان عبداً قوياً - إذا قتل حمزة فقد عتقه.. ومالت إليه هند بنت عتبة تمنّيه وترغبه على ذلك، وهي لا تقل عن صاحبها جبير حقداً وغيظاً، كما لا تتضاءل عنه سخاء وكرماً، تقول له: نفذ ما قاله لك سيّدك، ولك مني ما تريد وكرّرتها ثلاثاً.

قال العبد: سأبذل قصارى جهدي،
فإن متَّ خلصت من حياة الرق، وإن فزت
تحرّرت، وفي كلا الأمرين لي خلاص..

ودقت طبول الحرب، المشركون
بعَدَتهم وأبطالهم، والمسلمون بعددهم
القليل، وعدَّتهم الضئيلة.

وعين وحشي ترقب حركات البطل
وتنقله بين الصفوف وهو مثل الجمل
الأورق^(١)، يحصد المحاربين بسيفه، ويتمايل
الأبطال عن طريقه، تخشى بطشه، وتخاف
بأسه، فلم يخرج إليه مبارز إلا ولاقى
مصرعه، ولم يتصدَّ له أحد إلا وعاد مهزومًا
أسد الله، وأسد رسوله.. كرّار غير فرّار.

يقول وحشي: كنت أتهيأ له، أريده،
وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني،
وأنتظر اللحظة التي أرميه فيها بحربتي.

والفارس المغوار في غفلة عن عدوه،
لا يلتفت، ولا يعرف من أمره شيئًا، حتى
إذا ما قرب منه، اندفع إليه، ورماه بحربته،
فأصابته منه مقتلاً، ووقع صريعًا.. ولما
تأكّد من موته ذهب إليه، وأخرج حربته،
وجرى مسرعًا لجير يشره ليملك حرّيته،
ويخبر هندًا فيتمنّى عليها ما يريد.

(١) هكذا وصفه وحشي: ويريد بالجمل
الأورق، الذي لونه بين الغبرة والسواد، سمّاه
كذلك لما عليه من الغبار.

وسرى الخبر يَمْضُ في قلوب
المسلمين، ويبعث السرور في نفوس
المشركين، هذا حمزة بطل الإسلام، وأسد
الله، وساعد محمّد، مجنّد في الميدان، يا
لفرحة الشامتين..

وخفت أوار الحرب، وطافت نساء
مكة بين القتلى تسبقهن هند، وهنَّ يرقصن
فرحًا، ويجدن أنوف قتلى المسلمين،
ويقرن بطونهم، ويقطعن آذانهم.

ولم يشفِ غليل هند كلّ هذا، أين
حمزة؟ فقد أخبرها وحشي بأمره، وإثما
لتخوض في الدماء والجثث إذ تعثر بحمزة
وهو يتوسّد التراب.

أصحيح أن بطل الهاشميين صريع
في الميدان؟ إنّه بغيتها وتجلس على صدره
- وفرحتها تكاد تقضي عليها - بماذا تبدأ
وكيف تعمل؟ تقطع أوصاله، لا لا يهدأ
خاطرهما، تسمّل عينيه، لا يطفئ لهب
حقدها، تقطع لسانه، لم يجدها.. أكثر من
هذا تريد.. لتستخرج كبده فتأكله. وفعلت،
ولكن لم تتمكّن من أكله، لفظته مقهورة،
جازعة، ثم لتعمل قلادة من أجزائه:
أنفه، أذنيه، لسانه، عينيه، ثم بقرت بطنه،
وقطعت أوصاله.. ولم يبقَ لديها ما تفعله،
فتركته وهي تتهادى نشوانة بفعلتها حتى
قال المشاهدون عنه: ما مثّل بأحد كما مثّل



بحمزة..

وانساب دموع الشيخ أبي معاذ، فأمسك عن الكلام قليلاً كي يسمح ما علق في أجفانه من حبات الوفاء، فقد تذكر الشيخ المنظر المروع، فهاجت أحزانه، وضايقته عبرته، ثم عاد بعد هنيئة يواصل حديثه:

واستقبل أبو سفيان زوجته وهي ترقص، وفي صدرها قلادة من أعضاء إنسان، والتفت الرجل لزوجته متسائلاً فأخبرته فضحك ضحكة طويلة، وصاح: أين تركتيه؟ قالت: على مقربة من العين.

وانطلق يعدو، ولا يدري كيف يطوي طريقه، حتى وقف عليه وشاهده مقطعاً، ولم يكتف بذلك بل أخذ يمزق شذقي الصريع برمحه وهو يضحك، فمرّ عليه أحد الأعراب، وراه في موقفه المخزي، فقال لصاحبه، انظر يا أبا عروة سيّد بني عبد شمس يصنع بابن عمّه ما ترى، إنّه يجهز على ميت. فالتفت إليه أبو سفيان قائلاً: ويحك اكتمها عني، ولا تفضحني عند العرب.

كان منظر حمزة، وهو مقطع الأوصال، أوجع منظر أثر في قلب النبي، ثم سجّاه بغطاء، وقسم من حشيش الأرض.

ومع كلّ ما أصابه من حزن في هذا

الموقف الدقيق، فقد أبّن بطل الإسلام بقوله - وهو يصارع أحزانه -: «**رحمك الله يا عم، فلقد كنت وصولاً للرحم، فعولاً للخيرات، فو الله لئن ظفرت بهم لأمثلن بسبعين منهم**».

إنّها الحميّة والثأر دفعت بالرسول الأعظم أن يتعهد بهذا الثأر لعمّه المؤمن الشهيد، بعد أن هزّه الموقف هزّاً.. لكن الله سبحانه أراد غير ذلك، فقد نزلت الآية الكريمة:

﴿وَأِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ* وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ*﴾.

وهكذا انتهت حياة بطل الإسلام حمزة بن عبد المطلب صفحة مشرقة تنير للأجيال دروب العقيدة والكفاح، والصمود والبطولة...

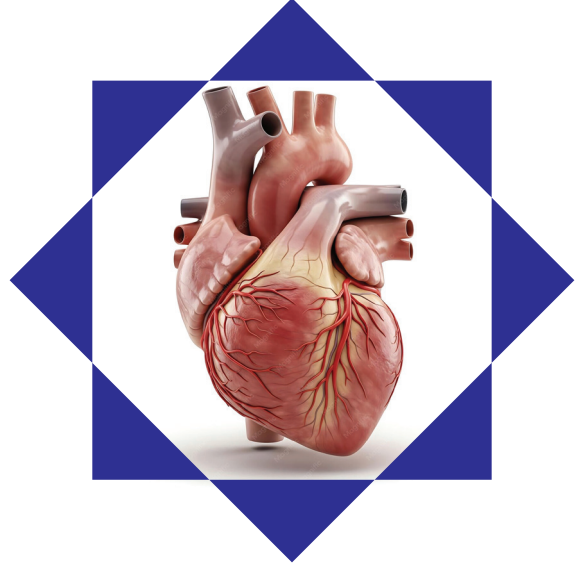
[بين يدي الرسول الأعظم ﷺ]

اولاد الخصال
عبد الله بن محمد



القلب وفساده

العلامة المشكيني



إنَّ المقصد الأعلى والغرض الأسمى في هذا العلم السعي في إصلاح القلب وإكماله، وتطهيره وتزكيته عن ذمائم الصفات، وتزيينه وتحليته لفضائل السجايا وفواضل الملكات، ليستعد على الاستفاضة من إنارة الألفاظ الرحمانية وإضافة المعارف الإلهية من حضرة ذي الجلال. فبالقلب شرف الإنسان وبه فضيلته على كثير من الخلق، وبه ينال معرفة ربه التي هي في الدنيا شرفه وجماله، وفي الآخرة مقامه وكماله. فالقلب هو العالم بالله، والعامل لله، والساعي إلى الله، والمتقرب إلى جوار الله، والجوارح أتباع وخدم يستعملها استعمال الملك للعبيد والصانع للآلة.

والقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من الآفات، والمحجوب عن الله تعالى إذا استغرق في الشهوات وهو الذي يفلح الإنسان إذا زكاه

ويخيب ويشقى إذا دساه، وهو المطيع لله على الحقيقة والمشرق على الجوارح أنواره وهو العصي في الواقع والظاهر على الأعضاء آثاره وباستنارته وظلمته تظهر محاسن الظن ومساويه، إذا كل إناء يترشح بما فيه.

وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه، وإذا جهله جهل نفسه، وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه.

وهو الذي جهله أكثر الناس وغفلوا عن عرفانه، وحيل بينهم وبينه بمعاصيهم والحائل هو الله، فإنه يحول بين المرء وقلبه، وينسى الإنسان نفسه ويضله ولا يهديه. ولا يوفقه لمشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته، فمعرفة القلب وأحواله وأوصافه أصل الأخلاق وأساس طريق الكمال.

والقلب لطيفة ربانية روحانية لها تعلق بالبدن شبه تعلق الأعراض بالأجسام، أو تعلق المستعمل بالآلة، أو المكين بالمكان.

والروح أيضًا عبارة عن هذه اللطيفة الربانية العالمة المدركة، وهو أمر عجيب رباني يعجز العقول عن إدراك كنهه.

والنفس أيضًا هي اللطيفة المذكورة، وهي الإنسان في الحقيقة، وتتصف بأوصاف مختلفة بحسب أحوالها، فإذا سكنت تحت أمر الله وزال عنها الاضطراب

لثقتها بالله ولم تتزلزل ولم تضطرب ولم تنحرف عن سبيل الله وطريق الحق عند معارضة الشهوات سميت بـ(النفس المطمئنة). وإذا لم يتم سكونها ولكن كانت مدافعة عن نفسها معارضة مع ما تقتضيه شهواتها سميت بـ(النفس اللوامة). وإن أذعنت وأطاعت للشهوات ودواعي الهوى والشياطين سميت بـ(النفس الأمارة بالسوء).

ثم إنَّ طريق تسلُّط الشيطان على القلب: الحواس الخمس الظاهرة والقوى الباطنة: كالخيال والشهوة والغضب. فالقلب يتأثر دائماً من هذه الجهات، وأخص الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر، والخواطر هي المحركات للإرادات، فإنَّ سند الأفعال الخواطر، والخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم والنية، والنية هي الإرادة التي تحرك العضلات والأعضاء.

والخواطر المحركة قسمان: قسم يدعو إلى الخير، وهو ما ينفع الإنسان في العاقبة، وقسم يدعو إلى الشر وهو ما يضره في العاقبة، والخاطر المحمود إلهام، والمذموم وسوسة، وسبب الخاطر الداعي إلى الخير في الغالب هو الملك، وإلى الشر هو الشيطان.

والملك خلق من خلق الله، شأنه إفاضة الخير وإفاضة العلم وكشف الحق والوعد



بالمعروف. والشيطان خلق على ضد ذلك. شأنه الوعد بالشر والأمر بالفحشاء، والتخويف بالفقر عند الهم بالخير، ولعل المقام من مصاديق قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾^(١) فإنَّ الموجودات متقابلة مزدوجة بمعان مختلفة. وقد ورد أنَّه للقلب لمتان: لمة من الملك ولة من الشيطان، والَّلمة: الخطوة والدنو والمساس. وورد أيضًا: «إِنَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»^(٢)، أي: بين خلقين مقهورين بإرادة الله التكوينية كالإصبع من صاحبها وهما: الملك والشيطان ومعنى كونه بينهما أن الله يخلي بينه وبين أيٍّ منهما أراد حسب اقتضاء عمل الإنسان ورغبته ودعائه.

ثم إنَّ القلب بأصل الفطرة صالح مستعد لقبول دعوات الملك والشيطان ويترجح أحدهما على الآخر باتباع الهوى والشهوات أو الإعراض عنها والميل إلى الطاعات، فإن اتبع الإنسان مقتضى الأول تسلط عليه الشيطان وصار القلب عسًا له، وصار صاحبه ممن باض الشيطان وفرَّخ في صدره ودب ودرج في حجره. وإن جاهد

(١) سورة الذاريات: الآية ٤٩.

(٢) المحجة البيضاء: ج ٥، ص ٨٥، بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣٩، مرآة العقول: ج ١٠، ص ٣٩٤.

في مخالفة الشهوات كان قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم وعاد صاحبه ممن سبقت له من الله الحسنى، وقد قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾^(٣).

[دروس في علم الأخلاق]

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٩٧-٩٨.

روايات في العزاء ولبس السواد على الحسين عليه السلام

العلامة محمد علي الاوردبادي

مثل زينب العالمية غير المعلمة، وفاطمة بنت الحسين (عليه السلام) التي ائتمنها أبوها على ودائع الإمامة حتى تُسَلَّمها إلى السجّاد (عليه السلام)، كما في (بصائر الدرجات) (٣) للصفار رحمه الله، وربائب حجر

(٣) بصائر الدرجات: ص ١٦٨ / الباب ١٣ - الحديث ٩ قال: حدّثنا محمد بن أحمد، عن محمد بن الحسين، عن ابن سنان، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: إِنَّ الْحُسَيْنَ (عليه السلام) لَمَّا حَضَرَهُ الَّذِي حَضَرَهُ دَعَا ابْنَتَهُ الْكُبْرَى فَاطِمَةَ، فَدَفَعَ إِلَيْهَا كِتَابًا مَلْفُوفًا وَوَصِيَّةً ظَاهِرَةً وَوَصِيَّةً بَاطِنَةً، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) مَبْطُونًا لَا يَرَوْنَ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا بِهِ، فَدَفَعَتْ فَاطِمَةُ الْكِتَابَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، ثُمَّ صَارَ ذَلِكَ إِلَيْنَا. فَقُلْتُ: فَمَا فِي ذَلِكَ؟! فَقَالَ: فِيهِ وَاللَّهِ جَمِيعُ

البرقي في (المحاسن) في باب الإطعام في المأتم في كتاب المأكل، عن الحسن بن ظريف بن ناصح، عن أبيه، عن الحسين بن زيد بن علي، عن عمّه عمرو بن علي بن الحسين (عليه السلام): «لَمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ (عليه السلام) لَيْسَنَ نِسَاءُ بَنِي هَاشِمٍ السَّوَادَ وَالْمَسُوحَ، وَكُنَّ لَا يَسْتَكِينَنَّ (١) مِنْ حَرٍّ وَلَا بَرْدٍ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) يَعِدُّ لَهْنَ الطَّعَامَ لِلْمَأْتَمِ» (٢).

فهذا الفعل من كريمات الرسالة، وفيهِنَّ

(١) في المصدر: لا يشتكين.

(٢) المحاسن: ج ٢، ص ٢٤٠ / ح ١٩٥.





الإمامة العارفات بخصوصيات شريعة جدّهنَّ قطعاً، مع احتمال العصمة في بعضهنَّ- كما نصَّ عليه الشيخ خضرتُّنَّ في «شرح اللمعة»^(١)- كلُّ ذلك منضمّاً لتقرير الإمام- صلوات الله عليه- من أوضح الشواهد على رجحان لبس السواد واستحبابه إشعاراً بالحزن والأسى عليه- سلام الله عليه.

في (البحار)، عن أبي مخنف: فلما أصبح يزيد استدعى حرم رسول الله ﷺ، فقال لهنَّ: أيُّما أحبَّ إليكنَّ: المقام عندي، أو الرجوع إلى المدينة، ولكم الجائزة السنيّة؟

قالوا: نحبُّ أولاً أن ننوح على الحسين ﷺ، قال: افعلوا ما بدا لكم. ثمَّ أخليت لهنَّ الحُجَر والبيوت في دمشق، ولم تبقْ هاشميّة، ولا قرشيّة إلا لبست السواد على الحسين ﷺ وندبوه- على ما نُقِلَ- سبعة أيّام^(٢).

ما يحتاج إليه ولد آدم إلى أن تفنى الدنيا.

(١) قال في أبواب الجنان وبشائر الرضوان: ٢٩٢ وكفاك لطم بنات الحسين ﷺ وأخواته، وخمش وجوههنَّ، وشقّ جيوبهنَّ، وإظهار الجزع، مع احتمال عصمة بعضهنَّ، وعدم التكريم من شاهد ذلك من ذوي العصمة.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٩٦، ضمن الحديث ٣٦، لكنّه رواه عن بعض مؤلّفات أصحابنا مرسلاً، وهو في مستدرك الوسائل: ج ٣، ص ٣٢٧/ الحديث ٣٧٠٢ منقولاً عن

لا يخالج الشكّ ذا دراية أنّهنَّ ما كنَّ يرِدُنَّ، ولا يصدِرُنَّ إلا بإمضاء من الإمام السجّاد- سلام الله عليه- وكنَّ أعرف النَّاس بمقامه وإمامته، كيف وفيهنَّ من أسلفنا لك ذكرهنَّ؟! وكلّهنَّ عقائل بيت الوحي، وكريمات خدر الرسالة، ولو كان في قول غير أئمّتنا حجة لنا ومقنّع لما كانت تعدوهنَّ، بيد أنّنا لا نرتاب أنّهنَّ كنَّ بمرأى من إمام زمانهنَّ، ومؤتمنّهنَّ، وما كنَّ يعدون إشارة، وما كان ليدعهنَّ يرتكبنَّ مرجوحاً في شريعة جدّه، وفي (مقتل أبي مخنف) أيضاً في قصة ورود أهل البيت ﷺ المدينة، وأمر الإمام السجّاد ﷺ بشراً ليدخل وينعى بها أبا عبد الله ﷺ، قال: فلم يبق في المدينة مخدّرة إلا وبرزت من خدرها، ولبسن^(٣) السواد، وصرن^(٤) يدعون بالويل والثبور^(٥).

فخرالدين الطريحي في المنتخب. وانظره في

مقتل الحسين ﷺ لأبي مخنف: ص ١٣٩.

(٣) في المصدر: ولبسوا.

(٤) في المصدر: وصاروا.

(٥) مقتل الحسين ﷺ لأبي مخنف: ص ١٤١.

وانظر مثير الأحزان لابن نما: ص ١١٢،

واللهوف لابن طاووس: ص ٢٢٧، وبحار

الأنوار: ج ٤٥ ص ١٤٧. وفي مثير الأحزان:

ج ٢ ص ١٠: وكانت النساء مدّة مقامهنَّ

بدمشق يُنَحْن عليه بشجّو وأنة، ويندبن بعويل

ورنة.

وفيه إيناسٌ لما نحن بصددِهِ لكشفِهِ
عن أن لبسَ السوادِ كانَ من شعارِ الحزنِ،
ولباسِ العزاءِ المتعارفِ الذي أقرّته
الشريعةُ المقدّسة، وكانت من تلك النسوة
أمّ المؤمنين أمّ سلمة زوجة النبي ﷺ، وأمّ
هاني أخت أمير المؤمنين ﷺ التي أجازَ
رسول الله ﷺ من دخل دارها بمكة يومَ
الفتح، وأمّ البنين - أمّ العباس - سلام
الله عليه^(١) ذاتُ المناقبِ الطائِلة، والمزايا
الجليلة، والفضلِ الباهر، الظاهر لمن سبر
الحديث والتاريخ، إلى غيرهنّ، ومن البعيد
غايته أن زوجة النبي ﷺ هذه التابعة أوامرَ
بعلها ونواهيهِ، والمقتفية أثرها حذو القدّة
بالقدّة^(٢)، المطلّعة على الخبايا والأسرار،
المحبوبة بجلالةِ الولاية، والمحظوظة
بالقرب من أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام
ونصرتهم على خلافٍ أغلب زوجاته ﷺ،
وأنّ، أخت الوصي المخصوصة بالعناية
من ابن عمّها وأخيها، المترّية في سرادقِ
النبوة والولاية، وزوجته الفائزة بخدمة
زوجها وابنيه، الناشئة بتعليماتهم الفائقة،
المخلصة فيهم ودّها، المتبعة آثارهم. إن

(١) كذا ورد وهو المشهور. ولكن بعض
المحقّقين ذهبوا إلى أنّها توفيت قبل يوم الطفّ.
المؤلّف.

(٢) يضرب مثلاً للشئيين يستويان ولا
يتفاوتان.

نسوة كمثل من ذكرناهنّ من البعيد غايته
عدمُ معرفتهنّ لهذا الحكم في لبسِ السوادِ
الذي يكثر تداوله في جميع الدور، إذ لا
تخلو عن الموتى والمآتم، والاستشعار بشعارِ
الحزن، وكم وكم وقعت^(٣) في أيام النبي ﷺ
ووصيّه وابنيه، وهنّ حاضراتٌ يشاهدنّ
خصوصيّاتِ المقام، فلو كنّ شاهدن منهم
الكراهة للبسِ السواد لما أقدمن على ذلك
قطعاً، وزاد الوثوق بفعلهنّ ما لحقه من فعلِ
الفاطميّات المذكور في الرواية الأولى، إذ لم
يكن ذلك في كربلاء قطعاً، حيث لم يدعوا
فيها مفسحاً لإقامة المآتم، ولا في الشام -
إذ من البعيد أن يكون السجّاد ﷺ هو
الذي يعدّ لهم الطعام بها، وقد أخلت هنّ
الحجر والبيوت في الشام، وأذن للقرشيّات
إذنًا عامّاً، وذلك ينبىء عن تمام الاعتناء
بشأن أهل البيت ﷺ، وقد رفعت عنهم
المضائق، ويزيد لعنه الله يريد استمالتهم،
واسترضاءهم رومًا للوصول إلى مقاصده
التي فاتته بشنائع أفعاله، فمن البعيد حينئذٍ
أن لا يجعل لهم من يعدّ لهم الطعام، ويدعُ
سيدهم يقومُ بذلك - فتعيّن أن يكون ذلك
بعد ورودهم المدينة.^(٤)

[موسوعة العلامة الأوردبادي: ج ٥]

(٣) أي: وقعت المصائب والمآتم ولبس
السواد.

(٤) أوراق متفرقة بخط المؤلّف تبتّ.



شرح خطبة أمير المؤمنين حول النساء

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

موقعها وشخصيتها، فقد نزلوا مقامها أحياناً دون مقام الإنسان، بل ترددوا في إنسانيتها بينما ذهب إلى البعض الآخر إلى أنَّها الجنس الراقي الذي يفوق الواقع حتى اقترح سيادتها للجماعة البشرية، ويمكن اعتبار هذين الرأيين من قبيل الإفراط ورد فعله التفريط. أمَّا اليوم فقد كثر الكلام أيضًا في المجتمعات الغربية ومن يناغمها في إرساء التجربة الديمقراطية بشأن المرأة. فالساسة يرون أنفسهم بحاجة إلى رأى النساء اللاتي يشاركن في الانتخابات ويدلين بأصواتهنَّ، كما يحتاجها الرأسماليون لاستخدامها في المعامل والمصانع ولا سيما أنَّهم يتوقعون مطالبتهنَّ بأجور أقل من الرجال إلى جانب تحليلهنَّ ببعض الصفات التي لا تتوفر في الرجال، وأخيرًا هناك الجهاز الإعلامي الذي

«مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ النَّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ، نَوَاقِصُ الْحُطُوطِ، نَوَاقِصُ الْعُقُولِ: فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَتَعَوُّدُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُطُوطِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ. فَاتَّقُوا شِرَارَ النَّسَاءِ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعَنَّ فِي الْمُنْكَرِ».

هنالك خلاف بين شرَّاح نهج البلاغة ولا سيما المعاصرين منهم بشأن تفسير هذه الخطبة، ومن هنا نرى ضرورة التمهيد قبل الخوض في تفاصيل هذه الخطبة. فقد حفل التأريخ بكثرة الكلام والإفراط والتفريط بشأن

يعد الشريان الرئيسي للميدان السياسي والاقتصادي هو الآخر يرى نفسه بحاجة ماسة إلى المرأة. كل هذه الأمور أدت إلى الدفاع المستميت عن حقوق المرأة والسعي الحثيث لرفع شخصيتها إلى أقصى ما يمكن على مستوى الكلام، أمّا على مستوى العمل فالقضية معكوسة تمامًا. فما زالت المرأة تعيش اليوم شتى أنواع الحرمان؛ الأمر الذي كان له أثره على تفسير بعض النصوص الدينية الواردة بشأن المرأة وتأويلها بالشكل الذي يتناسب وطباع أغلب النساء ويشبع رغباتهن وتطلعاتهن وإن كانت فارغة تفوق الخيال. ولم تسلم هذه الخطبة وسائر شببها من الخطب في نهج البلاغة من ذلك التقصير، بل هنالك من يتردد في سند هذه الخطبة، وآخر يتحرّج في تفسيرها حذرًا من المساس بمقام المرأة والإساءة لها، وإلى جانب هؤلاء فهناك من سلك سبيل التفريط بحق المرأة ليصوّرها على أنّها مجموعة من العيوب والنقص.

وهنا نقول لا ينبغي التنكر لأمرين:

الأول: أنّ هذه الخطبة وردت بعد الجمل، ونعلم أنّ القطب الرئيسي فيها كان زوج النبي ﷺ عائشة التي وردت الميدان إثر التحريض العجيب الذي قام به طلحة والزبير، وقد سالت فيها دماء غزيرة

ذهب البعض إلى أنّها خلفت ما يربو على سبعة عشر ألف قتيل، طبعًا صحيح أنّ تلك المرأة أعربت عن ندمها بعد هزيمة عسكر الجمل، وأنّ أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه واحترامًا لرسول الله ﷺ أمر بردها معززة مكرّمة إلى المدينة، إلّا أنّ الآثار السيئة لتلك المعركة ظلّت باقية في صفحات التاريخ الإسلامي.

والثاني: إنّنا نرى أغلب الآيات القرآنية التي عرضت بالذم للجنس البشري فقد صرح القرآن قائلًا: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ وقال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾، ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَفْغَىٰ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَىٰ﴾، وما شابه ذلك من الآيات.

فما لا شك فيه أنّ الإنسان في طبيعته ليس «كفور مبين» ولا «ظلوم جهول» ولا «طاغي»، ويبدو أنّ هذه الأمور تتعلق بأولئك الأفراد الذين لم يترعرعوا في ظل التربية الدينية، فهم غارقون في أهوائهم وذواتهم وليس لهم من مرشد أو دليل. ومن هنا نرى القرآن يكيل المدح والثناء للإنسان الذي يتحلّى بالطاعة والورع والتقوى، بل أشار القرآن إلى بني آدم على أنّهم أكرم من في عالم الوجود: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا



بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا
تَفْضِيلًا ﴿١﴾. وبصدق ما أوردناه سابقًا على
جنس المرأة، فهناك المتميزات من بين النساء
بما يقل العثور على نظيرهن في الرجال،
وبالعكس هناك النساء المنحرفات اللائي
يشكلن بؤرة فساد المجتمعات البشرية.
والآن نخوض بعد هذه المقدمة في شرح
الخطبة، وستشر آخر الخطبة إلى بعض
الأمر ذات الصلة بهذا الخصوص. كما ذكر
سابقًا فإنَّ الإمام (عليه السلام) خطب هذه الخطبة في
الجميل كتحدير لجميع المسلمين من مغبة
التعرض لمثل هذه الحوادث في المستقبل،
فقال (عليه السلام): «معاشر الناس إِنَّ النساء نواقص
الإيمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول»،
ثم قدَّم (عليه السلام) الدليل على ما ذهب إليه فقال:
«وَأَمَّا نقصان إيمانهن فقعودهنَّ عن الصلاة
والصيام في أيام حيضهن، وَأَمَّا نقصان
عقولهنَّ فشهادة امرأتين كشهادة الرجل
الواحد، وَأَمَّا نقصان حظوظهنَّ فموارِيثهنَّ
على الأنصاف من موارِيث الرجال»، ومما لا
شكَّ فيه أنَّ لكلَّ نقص دليله فقعود النساء
عن الصلاة والصوم حين العادة الشهرية
لسببين أحدهما أنَّ المرأة قد تعيش حالة شبه
مرضية زمان العادة فهي بحاجة إلى الراحة،
والآخر أنَّ وضعها لا يتناسب وحالة

العبادة والدعاء. وأمَّا كون شهادة امرأتين
بشهادة رجل واحد فذلك لغلبة الجانب
العاطفي عند النساء، وهي تتأثر وتنفعل
بهذه العواطف، الأمر الذي قد يدفعها
لشهادة لصالح أحد والاضرار بآخر.

وأمَّا كون ميراثهن نصف ميراث
الرجال فأولاً: إنَّها يختص هذا الأمر بالبنات
والزيجات، بينما الميراث واحد بالنسبة للآباء
والأمهات وأولادهما، وهكذا الحال بالنسبة
للأخوة والأخوات وأولادهما. بعبارة
أخرى فإنَّ المرأة كأم أو أخت تتقاضى سهمًا
مساويًا لسهم الرجل في الميراث. وثانيًا:
تختص النفقة بالرجال، والمرأة ليست فقط لا
تحمِّل نفقات الأولاد فحسب، بل يتوجب
على الرجل تغطية نفقاتها وإن حصلت على
أموال طائلة عن طريق الإرث أو غيره.
ونخلص من هذا إلى أنَّ هذه الفوارق قد
حسبت بمنتهى الدقة في الإسلام، مع ذلك
هنالك مسألة لا ينبغي إنكارها وهي أنَّ
المرأة ليست مساوية للرجل في كلِّ الأمور،
وأمَّا أولئك الذين يرفعون شعار المساواة
وأحيانًا أفضلية المرأة على الرجل فإنَّها يتبنون
ذلك قولًا ويناقضونه عملًا. فهل هناك
من رئيس جمهورية -رفع شعار المساواة
بين الجنسين- ووزَّع الحقائق الوزارية
بالتساوي على الرجال والنساء، أم هناك

مدير وزّع الوظائف الإدارية بهذا التساوي، بل يتعذر ذلك حتى في البلدان الغربية وتلك العلمانية والوطنية. أمّا الرؤية الحق التي تستند إلى الواقع وتجنب الشعار والرياء فهي تلك التي تدعو إلى العدل في التعامل مع الجنسين على أساس الاستعدادات والكفاءات التي أودعت كلّ منهما، ليمكن كلّ طرف من توظيفها بالشكل الصحيح بما يخدم شخصه ومجتمعه؛ الأمر الذي سنخوض في تفاصيله في مباحث التأملات لاحقاً.

ثم يخلص الإمام (عليه السلام) إلى نتيجة فيقول: «فاتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر، ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر»، ومن الطبيعي أن عدم طاعتهم في المعروف لا يعني مخالفتهم إذا دعين إلى الأمور المعروفة كالصوم والصلاة والعدل والاحسان، بل المراد عدم الاستسلام لمقترحاتهم دون الاكتراث لأي قيد أو شرط، وبعبارة أخرى لا بدّ من القيام بالمعروف لذاته لا من خلال الاستجابة المطلقة للأزواج، حذرًا من تمدّدهن والمطالبة بالخضوع لكلّ رغباتهن وطلباتهن. فالعبارة الواردة في نهج البلاغة وإن لم تختص بالزيجات وأنّها تقصد عامة النساء، إلّا أن المفروغ منه هو أنّ هذه الأمور إنّما تحدث عادة بين الأزواج والزيجات. وبناءً على هذا فإنّ ما جاء في هذه

الخطبة لا يتنافى والآيات التي توجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يشمل الرجل والمرأة؛ لأنّ الخطبة لا تقصد ترك المعروف، بل المراد أنّ العمل لا ينبغي أن يحمل صفة الطاعة العمياء بعيداً عن كلّ قيد وشرط. كأن يرد الزواج على الزوجة حين اقترحها المعروف، أجل كنت قد فكرت بالقيام بهذا العمل (في حالة إذا كانت لديه حقّانية القيام به)، أو أن يؤخّر العمل لمدة قصيرة إن أمكن تأخير كي لا تشعر الزوجة بأنّه منقاد لها دون حدود وشروط.

نعم إنّ النساء المؤمنات الملتزمات الفاضلات مستثناة من هذا الحكم؛ فهناك النساء اللاتي سخطهن سخط الله ورضاهن رضا الله كالزهراء (عليها السلام). وهذه النقطة واضحة أيضًا حين قال: «كونوا من خيارهن على حذر» أنّ المراد الخير النسبي لا الخير المطلق، فالأخيار المطلقون ليس فقط لا ينبغي الحذر منهم، بل لا بدّ من اغتنام الفرصة للتحدّث إليهم وسماع وصاياهم. ومن هنا صرّحت بعض الآيات القرآنية بضرورة استشارة النساء، ومن ذلك فطم الطفل عن الرضاعة: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾.

[نفحات الولاية]



المشاعر المتناقضة

الشيخ محمّد تقي فلسفي

وبذلك يستطيعون الحصول على شخصية مستقيمة في المجتمع ويتناسون ضعفهم الداخلي. لكن بعض المصابين بالحقارة ينحرفون عن الطريق المعقول بسبب من اليأس أو الكسل وغير ذلك. ولإخفاء ما هم عليه من الضعف، وبغية تدارك النقص يقدمون على الانتحار المعنوي، فيحطمون شخصياتهم ويتخلّون عن عزتهم واستقلالهم... إنَّهم يستسلمون للذل والهوان بالحركات التزلّفية التي يغلب عليها طابع التصنّع في التواضع، وهذا ما يؤدّي إلى إذكاء نار المشاعر المتناقضة في ضمائرهم.

[الطفل بين الوراثة والتربية]

لغريزة حبّ الذات مظاهر مختلفة من الناحيتين: الروحية والجسمية، فعندما لا يوجد تعارض أو تراحم بين تلك المظاهر فإنّ كلّاً منها يتلقّى استجابة ملائمة. ولكن الطامة الكبرى تقع عندما تظهر هذه الغريزة في مظاهر متعارضة فيما بينها، وتجعل الإنسان تحت كابوس المشاعر المتناقضة. في مثل هذه الحالة ينحرف بعض الأفراد عن الطريق الصحيح والمعقول ويقدمون على أعمال إجرامية عظيمة.

إنّ كلّ فرد يرغب بدافع من حبّه لذاته أن يكون كاملاً من جميع الجهات منزهاً عن كلّ نقص أو ضعف.

إنّ الأشخاص الذين يشعرون بالحقارة والصغار من بعض هذه الجوانب يعيشون في قلق واضطراب دائمين، ويشكون من ضغط روحي باستمرار. إنّ الطريق المعقول لهؤلاء في تدارك حقارتهم هو أن يوجهوا قابلياتهم في مجارٍ مناسبة، ويبرهنوا على جدارتهم وكفاءتهم عن طريق إظهار مواهبهم في المجالات التي يتقنونها

اولاوتقافيتي

العناوين العامة للأخلاق

حين نتفحص كتب الأحاديث بحثاً عن العناوين العامة للأخلاق نجد باقة من العناوين التي تتحدث عن الأخلاق وتصنيفها إلى أصناف كثيرة ولما كانت هذه العناوين كثيرة سنقتصر في الشرح على بعضها انسجاماً مع المنهج وسنورد هذه العناوين التي عثرنا عليها حسب الحروف الهجائية.

١ - **الأبعد عن رسول الله ﷺ:** عن النبي ﷺ: «ألا أخبركم بأبعدكم مني شَبْهاً قالوا بلى يا رسول الله قال: الفاحش، المتفحش، البذيء، البخيل، المختال، الحقود، الحسود، القاسي القلب، البعيد من كل خير يرجى، غير المأمون، من كل شر يُتقى»^(١).

٢ - **أحسن الأخلاق:** عن الإمام علي عليه السلام: «أحسن الأخلاق ما حملك على المكارم»^(٢).

٣ - **أربع خصال مَنْ كُنَّ فيه كَمَلُ إسلامه:** عن علي بن الحسين عليه السلام: «أربع من كُنَّ فيه كَمَلُ إسلامه ومُحَصَّصَتْ عنه ذنوبه ولقي ربه عزوجل وهو عنه راضٍ: مَنْ وَفَى لله عزوجل بما يجعل على نفسه للناس، وصدق لسانه مع الناس، واستحى من كل قبيح عند الله وعند

(١) ميزان الحكمة: (م. س.)، ج ٣، ص ١٥٥.

(٢) ميزان الحكمة: (م. س.)، ج ٣، ص ١٥٦.



الناس، وحسُن خُلُقُهُ مع أهله»^(١).

٤ - أربع من كنَّ فيه فهو منافق: عن النبي ﷺ أنّه قال: «أربع من كنَّ فيه فهو منافق وإن كانت فيه واحدة منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتّى يدعها: من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(٢).

٥ - أربع من يكن فيه كمل إسلامه: عن النبي ﷺ أنّه قال: «يا علي أربع من يكنّ فيه كمل إسلامه: الصدق، والشكر، والحياء، وحسن الخلق»^(٣).

٦ - أربعة لا ينظر الله إليهم: عن النبي ﷺ أنّه قال: «أربعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: عاقٍ ومَنَّانٍ ومكذِّبٍ بالقدر ومدمن خمر»^(٤).

٧ - أزين الأخلاق: عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «إنَّ أزين الأخلاق الورع والعفاف»^(٥).

٨ - الأشبه برسول الله ﷺ في

الأخلاق: عن النبي ﷺ أنّه قال: «ألا أخبركم بأشبهكم بي أخلاقًا، قالوا بلى يا رسول الله ﷺ، فقال: أحسنكم أخلاقًا، وأعظمكم حلمًا، وأبركم بقرابته، وأشدكم إنصافًا من نفسه في الغضب والرضا»^(٦).

٩ - أشرف الخلائق: عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «أشرف الخلائق التواضع والحلم ولين الجانب»^(٧).

١٠ - أفضل الأخلاق:

أ - عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «السخاء والحياء أفضل الخلق»^(٨).

ب - عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «سئل عن أفضل الأخلاق فقال: الصبر والسباحة»^(٩).

١١ - أفضل الفضائل:

أ - عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «أفضل الفضائل صلة المهاجر، وإيناس النافر، والأخذ بيد العاثر»^(١٠).

ب - عنه عليه السلام أيضًا قال: «أفضل الفضائل: بذل الرغائب، وإسعاف الطالب،

(١) الخصال: للشيخ الصدوق، (ت: ٣٨١هـ)،

تح. علي أكبر الغفاري، ح ٥٠، ص ٢٢٢.

(٢) الخصال: (م. س.)، ح ١٢٩، ص ٢٥٤.

(٣) تحف العقول: ابن شعبة (ق ٤هـ)، تق. محمد حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ٥، ص ١٥.

(٤) الخصال: (م. س.)، ح ١٨، ص ٢٠٣.

(٥) ميزان الحكمة: (م. س.)، ج ٣، ص ١٥٦.

(٦) تحف العقول: (م. س.)، ص ٤٠.

(٧) ميزان الحكمة: (م. س.)، ج ٣، ص ١٥٦.

(٨) ميزان الحكمة: (م. س.)، ج ٧، ص ٤٩٥.

(٩) ميزان الحكمة: (م. س.)، ج ٣، ص ١٥٦.

(١٠) ميزان الحكمة: (م. س.)، ج ٧، ص ٤٩١.

والإجمال في المطالب^(١).

ج - عنه عليه السلام أيضًا قال: «من أفضل الفضائل: اصطناع الصنائع وبثّ المعروف»^(٢).

د - عنه عليه السلام أيضًا قال: «حفظ اللسان وبذل الإحسان من أفضل فضائل الإنسان»^(٣).

١٢ - ثلاث جزاؤون جهنم: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ثلاث إذا كنّ في الرجل فلا تخرج أن تقول إنّهُ في جهنم: الجفاء والجبن والبخل، وثلاث إذا كنّ في امرأة فلا تخرج أن تقول إنّها في جهنم: البذاء والخيلاء والفخر [والفجر]»^(٤).

١٣ - ثلاث خصال عظام: من وصيّة النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام: «أنهاك عن ثلاث خصال عظام: الحسد، والحرص، والكذب»^(٥).

١٤ - ثلاث خصال لا يجمعها الله لمنافق أو فاسق: روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لا يجمع الله تعالى لمنافق ولا فاسق حُسْنُ الخُلُق، والفقّه، وحُسْنُ السّمت

أبدأ»^(٦).

١٥ - ثلاث خصال لا يموت صاحبهنّ حتّى يرى وباهنّ: عن الإمام الباقر عليه السلام: أنّه في كتاب علي عليه السلام: ثلاث خصال لا يموت صاحبهنّ أبدًا حتّى يرى وباهنّ: «البغي، وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة يبارز الله فيها»^(٧).

١٦ - ثلاث من أبواب البرّ: من وصيّة النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام: «ثلاث من أبواب البرّ: سخاء النفس، وطيب الكلام، والصبر على الأذى»^(٨).

١٧ - ثلاث من مكارم الأخلاق: ومن وصيّة النبي صلى الله عليه وآله أيضًا: «ثلاث من مكارم الأخلاق: تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك»^(٩).

١٨ - ثلاث من مكارم الأخلاق الدنيا والآخرة: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: «تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جُهل عليك»^(١٠).

(٦) الخصال: (م. س.)، ج ١٢٦، ص ١٢٧.
(٧) أصول الكافي: (م. س.)، ج ٢، ح ٤، ص ٣٤٧.
(٨) تحف العقول: (م. س.)، ص ١٤.
(٩) تحف العقول: (م. س.)، ص ١٤.
(١٠) أصول الكافي: (م. س.)، ج ٢، ح ٣، ص ١٠٧.

(١) ميزان الحكمة: (م. س.)، ج ٧، ص ٤٩١.
(٢) ميزان الحكمة: (م. س.)، ج ٧، ص ٤٩١.
(٣) ميزان الحكمة: (م. س.)، ج ٧، ص ٤٩١.
(٤) الخصال: (م. س.)، ح ٢٠٤، ص ١٥٨.
(٥) الخصال: (م. س.)، ح ١٢١، ص ١٢٤.

١٩ - خصلتان لا تجتمعان في مسلم:

عن النبي ﷺ أنه قال: «خصلتان لا تجتمعان في مسلم: البخل وسوء الخلق»^(١).

٢٠ - خصلتان لا تجتمعان في قلب

عبد: عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً»^(٢).

٢١ - الخصال التي يجب على المؤمن

تجنبها: عن الإمام الباقر (ع) أنه قال: «البغي، والبخل، والدناءة، والخيانة، والغش، والحقد، والظلم والشر، والخرق، والعُجب، والكبر، والحسد، والغدر الفاشي، والكذب، والغيبة، والنميمة، والمكايدة، وسوء الظن، ويمين البوار، والنفاق، والمنّة، وجحود الإحسان، والعجز، والحرص، واللعب، والإصرار، والقطيعة، والمزاح، والسفه، والفحش، والغفلة عن الواجب، وإذاعة السر»^(٣).

٢٢ - خمس خصال يدعو إليها عالم

نجلس عنده: عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تجلسوا إلّا عند كلّ عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشكّ إلى اليقين، ومن الرياء

إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الرهبة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن الغش إلى النصيحة»^(٤).

٢٣ - خيار العباد: عن النبي ﷺ هم:

«الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أسأؤوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا»^(٥).

٢٤ - رأس الفضائل: عن الإمام

علي (ع) أنه قال: «رأس الفضائل ملك الغضب وإماتة الشهوة»^(٦).

٢٥ - الذنوب: وهي بحسب نتائجها

أنواع نذكرها بالترتيب كما جاءت في الرواية عن الإمام السجّاد:

أ - الذنوب التي تغيّر النعم: «البغي

على الناس، والزوال عن العادة في الخير، واصطناع المعروف، وكفران النعم، وترك الشكر قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٧).

ب - الذنوب التي تورث الندم:

«قتل النفس التي حرّم الله قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾^(٨) وقال الله عزّ وجلّ في قصّة قابيل حين قتل

(١) الخصال: (م. س.)، ح ١١٧، ص ٧٥.

(٢) الخصال: (م. س.)، ح ١١٨، ص ٧٥.

(٣) إعلام الدين في صفات المؤمنين: للشيخ حسن الديلمي (ق. هـ)، تح، مؤسسة أهل البيت، بيروت، ط ٢، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م، ص ١١٨.

(٤) إعلام الدين: (م. س.)، ص ٢٧٢.

(٥) الخصال: (م. س.)، ح ٩٩، ص ٣١٧.

(٦) ميزان الحكمة: (م. س.)، ج ٧، ص ٤٩٢.

(٧) سورة الرعد: الآية ١١.

(٨) سورة الإسراء: الآية ٣٣.



أخاه هابيل فعجز عن دفنه ... ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾^(١) وترك صلاة القربة حتى يستغنوا، وترك الصلاة حتى يخرج وقتها وترك الوصية وردّ المظالم ومنع الزكاة حتى يحضر الموت وينغلق اللسان».

ج - الذنوب التي تنزل النقم: «عصيان العارف بالبغي، والتطاول على الناس، والاستهزاء بهم، والسخرية منهم».

د - الذنوب التي تدفع القسم: «إظهار الافتقار، والنوم من العتمة وعن صلاة الغداة، واستحقار النعم، وشكوى المعبود ﷺ».

هـ - الذنوب التي تهتك العِصم: «شرب الخمر واللعب بالقمار وتعاطي ما يضحك الناس من اللغو والمزاح وذكر عيوب الناس ومجالسة أهل الريب».

و - الذنوب التي تنزل البلاء: «ترك إغاثة الملهوف وترك معاونة المظلوم وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

ز - الذنوب التي تدل الأعداء: «[أي: تعطي الدولة والقيادة للأعداء] المجاهرة بالظلم وإعلان الفجور وإباحة المحظور وعصيان الأخيار والانطباع للأشرار [أي الانقياد لهم]».

ح - الذنوب التي تعجل الفناء: «قطيعة الرحم واليمين الفاجرة والأقوال الكاذبة والزنا وسدّ طرق المسلمين وادّعاء الإمامة بغير حق».

ط - الذنوب التي تقطع الرجاء: «اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والثقة بغير الله، والتكذيب بوعد الله ﷻ».

ي - الذنوب التي تظلم الهواء: «السحر والكهانة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر وعقوق الوالدين».

ك - الذنوب التي تكشف الغطاء: «الاستدانة بغير نيّة الأداء، والإسراف في النفقة على الباطل، والبخل على الأهل والولد وذوي الأرحام، وسوء الخلق، وقلة الصبر، واستعمال الضجر، والكسل، والاستهانة بأهل الدين».

ل - الذنوب التي ترد الدعاء: «سوء النيّة، وخبث السريرة، والنفاق مع الإخوان، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب أوقاتها، وترك التقرب إلى الله ﷻ بالبرّ والصدقة، واستعمال البذاء، والفحش في القول».

م - الذنوب التي تحبس غيث السماء [أي تمنع المطر]: «جور الحكّام في القضاء، وشهادة الزور، وكتان الشهادة، ومنع الزكاة والقرض والماعون [أي: العارية في ما ينفع

من الأمور اليسيرة التي يمكن أن تعارض بين الجيران والأهل]، وقساوة القلوب على أهل الفقر والفاقة، وظلم اليتيم والأرملة، وانتهاز السائل وردّه بالليل»^(١).

٢٦ - سِتَّة لَا تَكُونُ فِي الْمُؤْمِنِ: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «سِتَّة لَا تَكُونُ فِي الْمُؤْمِنِ: العسر والنكد [أي اللؤم] واللجاجة والكذب والحسد والبغي»^(٢).

٢٧ - سَيِّدُ الْأَعْمَالِ: في وصيّة النبي صلى الله عليه وآله: «يا علي سَيِّدُ الْأَعْمَالِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: إِنْصَافُكَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمَسَاوَاةُ الْأَخِ فِي اللَّهِ، وَذَكَرَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(٣).

٢٨ - شِيعَةُ جَعْفَرٍ: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِنَّمَا شِيعَةُ جَعْفَرٍ مَنْ عَفَّ بَطْنَهُ وَفَرَجَهُ، وَاشْتَدَّ جِهَادَهُ، وَعَمَلَ لِحَالِقِهِ، وَرَجَا ثَوَابَهُ، وَخَافَ عِقَابَهُ، فَإِذَا رَأَيْتَ أَوْلَئِكَ فَأُولَئِكَ شِيعَةُ جَعْفَرٍ»^(٤).

٢٩ - عِلَامَاتُ أَهْلِ التَّقْوَى: عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ لِأَهْلِ التَّقْوَى عِلَامَاتٍ يَعْرِفُونَ بِهَا: صِدْقُ الْحَدِيثِ وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَقَلَّةُ الْفَخْرِ وَالْبَخْلِ وَصِلَةُ

الأرحام ورحمة الضعفاء وقَلَّةُ المَوَاتَةِ للنساء وبذل المعروف وحسن الخُلُقِ وسعة الحلم واتباع العلم فيما يقرب إلى الله...»^(٥).

٣٠ - عِلَامَاتُ الْفَقْهِ: عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «مِنْ عِلَامَاتِ الْفَقْهِ: الْحِلْمُ وَالْعِلْمُ وَالصَّمْتُ وَإِنَّ الصَّمْتَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْحِكْمَةِ إِنَّ الصَّمْتَ يَكْسِبُ الْمَحَبَّةَ وَإِنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى الْخَيْرِ»^(٦).

٣١ - الْفَضَائِلُ أَرْبَعَةٌ أَجْنَسُ: عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «الْفَضَائِلُ أَرْبَعَةٌ أَجْنَسُ: أَحَدُهَا الْحِكْمَةُ وَقَوَامُهَا فِي الْفِكْرَةِ، وَالثَّانِي الْعِفَّةُ وَقَوَامُهَا فِي الشَّهْوَةِ، وَالثَّالِثُ الْقُوَّةُ وَقَوَامُهَا فِي الْغَضَبِ، وَالرَّابِعُ الْعَدْلُ وَقَوَامُهَا فِي اعْتِدَالِ قُوَى النَّفْسِ»^(٧).

٣٢ - قَاصِمَاتُ الظَّهْرِ: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ثَلَاثُ هُنَّ قَاصِمَاتُ الظَّهْرِ [قصم الشيء كسره]: رَجُلٌ اسْتَكْثَرَ عَمَلَهُ، وَنَسِيَ ذَنْبَهُ، وَأَعْجَبَ بِرَأْيِهِ»^(٨).

٣٣ - الْكِبَائِرُ: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الْكِبَائِرُ سَبْعٌ: قَتْلُ الْمُؤْمِنِ مُتَعَمِّدًا، وَقَذْفُ الْمَحْصَنَةِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَالتَّعَرُّبُ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ

(١) معاني الأخبار: للصدوق، تح، علي أكبر الغفاري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٢٧٠ - ٢٧١.
(٢) الخصال: (م. س.)، ح ١٥، ص ٣٢٥.
(٣) تحف العقول: (م. س.)، ص ١٤.
(٤) أعلام الدين: (م. س.)، ص ١٢٩.

(٥) الخصال: (م. س.)، ح ٥٦، ص ٤٨٣.
(٦) الخصال: (م. س.)، ح ٢٠٢، ص ١٥٨.
(٧) ميزان الحكمة: (م. س.)، ج ٣، ص ١٤٥.
(٨) معاني الأخبار: (م. س.)، ح ١، ص ٣٤٣.



ظلمًا، وأكل الربا بعد البيّنة، وكلّ ما أوجب الله عليه النار»^(١).

٣٤ - المحقّرات: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال للراوي: «أتقوا المحقّرات من الذنوب فإنّ لها طالبًا لا يقولن أحدكم أذنب واستغفر الله أنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾»^(٢)^(٣).

٣٥ - مكارم الأخلاق: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله عزّ وجلّ خصّ رسله بمكارم الأخلاق فامتنحوا أنفسكم فإن كانت فيكم فاحمدوا الله واعلموا أنّ ذلك من خير وأن لا تكن فيكم فاسألوا الله وارغبوا إليه فيها قال: فذكرها عشرة: اليقين والقناعة والصبر والشكر والحلم وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروءة»^(٤). وهناك دعاء يتضمّن جملة من الأخلاق معروف باسم دعاء مكارم الأخلاق ينسب للإمام زين العابدين عليه السلام

مذكور في كتب الأدعية.

٣٦ - المنجيات والمهلكات: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ثلاث منجيات: خوف الله في السرّ والعلانية كأنّك تراه وإن لم تكن تراه فإنّه يراك، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر» وثلاث مهلكات: «هوى متّبّع، وشحّ مطاع، وإعجاب المرء بنفسه»^(٥).

٣٧ - وزراء الأخلاق: عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «نعم وزير الإيمان العلم، ونعم وزير العلم الحلم، ونعم وزير الحلم الرفق، ونعم وزير الرفق اللين»^(٦) والوزير يعني «الذي يحمل الثقل عن صاحبه»^(٧).

وبهذا القدر نكتفي من إيراد العناوين العامّة للأخلاق في المحور الأوّل، وننتقل إلى المحور الثاني.

[محاضرات في علم الأخلاق]

(١) أصول الكافي: (م. س.)، ج ٢، ح ٣، ص ٢٧٧.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٦.

(٣) ميزان الحكمة: (م. س.)، ج ٣، ح ٦٥٩٨، ص ٤٥٩.

(٤) أصول الكافي: (م. س.)، ج ٢، ح ٢، ص ٦٥.

(٥) إعلام الدين: (م. س.)، ص ١٢١.

(٦) ميزان الحكمة: (م. س.)، ج ١٠، ح ٢١٣٧، ص ٤٣٨.

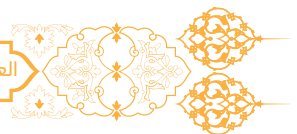
(٧) معجم مقاييس اللغة: (م. س.)، ص ١٠٥٢.



الشيخ عبد الحسين الجواهري (١٢٧٣هـ)

له قصيدة في الإمام الحسين (عليه السلام) يقول فيها:

حقّ أن تسكبي الدموعَ دماءَ
صَبَّيَ الدمعَ في زفيرٍ وأمّا
وجوى ألزَمَ الخفوقَ فؤادي
من عذيري من أن يبارحَ قلبي
كيفَ أسلوهمُ وقد بلغَ الدا
غادروا ناظري من الدمعِ ملاً
يا جفوني أو أن تسيلي بكاءَ
أعوزَ الدمعُ صَعْدِي الأحشاءَ
وضلوعي على اللهيبِ انحناءَ
بعدَ بَيْنِ الأُحبةِ البرحاءَ
ءُ بقلبي أن ليسَ يسلو الدواءَ
نأمتي شاهدَ الديارِ خلاءَ



قد تعفّت إلّا بقايا رسوم
زاد كربُ البلا بها فكأن الـ
شدّ ما قد لقي بها آل طه
مزقتهم بها الحوادث حتى
جمعت شملهم ضحىً فعدى الخط
ودعتهم سلماً أمية لكن
لجنودٍ يجري بها الغيُّ مجرى الـ
كان أدلى بها الضلالُ حقوداً
أظهروا للحسين ما قد أسروا
ومذ استحكمت عُرى الخطب حتى
وأبوالذّة الحياة بذلّ
وأفاضوا من الحفاظ دروع الـ
بي من أرخصوا النفوس غوالي الـ
كلُّ مُستعصمٍ بحزمٍ يريه
يتهادون تحت ظلّ العوالي
شعشعوا البيض في القتام وشعّت
أوجب المصطفى عليهم حقوقاً
ففدوه بأنفسٍ قلّ أن لو
وقضوا تشربُ القنا السمُر والبيد
يا بنفسي منهم وجوهاً يوذّ الـ
خضبتّها الدمالكي تشهد الحر
وجسوماً من دونها الشهبُ فيها

كاد يقضي البلى عليها عفاء
قلبَ فيها مشاهدٌ (كربلاء)
من رزايا تهوّن الأرزاء
عاد أبناءُ أحمدٍ أنباء
بُ عليهم ففرقتهم مساء
أسلمتهم لما أجابوا الدعاء
سيل لا يبصرُ الرشادَ عماء
ورثتها آباؤها الأبناء
لأبيه الشحنةاء والبغضاء
ضيّقت في بني النبيّ الفضاء
ورأوا عزّة الفناء بقاء
صبرٍ شوقاً إلى الردى لا اتقاء
سومٍ لا تعرفُ الهوان إباء
من بعيدٍ أمامه ما وراء
كنشاوى قد غادروا الصهباء
بيضُ أحسابهم لهم فأضاء
أحسنوها دون الحسين أداء
تغتدي دونها النفوس فداء
ضُ دماهم حول الفرات ظماء
بدرُ منها لو استمدّ السناء
بُ بأن غيّبوا بها شهداء
فاخرت أرض (كربلاء) السماء

بَدَّدْتُ لَحْمَهَا الظُّبَا فِي سَبِيلِ
لَيْتَ لَا قَرَّتِ الْبَسِيطَةُ ظَهْرًا
وَابْنُ طَهْ مَلَقَى عَلَى التُّرْبِ عَارِي الـ
وَبَنَاتُ النَّبِيِّ يَسْتَأْقُهَا السَّبـ
كُلُّ حَسْرَى الْقِنَاعِ أَذْهَلَهَا الـ
تَتَبَدَّى وَهِيَ الْمَصُونَةُ خَدْرًا
حَرَّ قَلْبِي لِشَاكِلِ شَفِّهَا الْوَجـ
وَجَدِيرٌ أَنْ لَا يَسُوعَ وَرُودُ الـ
لَهْفُ نَفْسِي لَهُ يُقَاسِي ظِلْمَ الْقَلـ
أَبْنِي هَاشِمٍ لَوْ السِّيفُ أَبْقَى الـ
أَيَّ عَذْرِ لَكُمْ إِذَا لَمْ تَشْنُوا
تَتْرُكُ الْأَرْضَ لَيْسَ تَتْرُكُ خَوْفًا
طَالَ مِنْكَ انْتِظَارُ سَمْرِ الْعَوَالِي
فَهَلِّمُوا بِمَصْدَرِي الْبَيْضِ حَمْرًا
عَلَّ غَيْظُ النُّفُوسِ يَبْلُغُ مِنْكُمْ
لَا غَفْتُ أَعْيُنَ الْحِفَاطِ وَحَرْبُ
لَنْ يَرُوعَ الْحَوْرَاءُ بِالطُّفِّ إِلَّا
وَبَتَلَكَ النَّارِ الَّتِي لَيْسَ تَجْبُو
وَبِحَبْلِ قَادُوا عَلِيًّا بِهِ قِيـ
أَلْقَحُوهَا وَاسْتَنْتَجُوهَا ضَلَالًا
أَيُّهَا الْمَرْهَبُ الْمَقَادِيرِ يَا مَنْ

اللَّهُ كِي تَجْمَعَ الْعُلَى وَالْثَنَاءَ
وَالسَّمَاوَاتُ لَا اسْتَقَامَتْ بِنَاءَ
جَسْمٍ يُكْسَى مِنَ الْعَجَاجِ رِداءَ
سِي عَلَى حَالَةٍ تُسَامُ إِمَاءَ
سَدَاءَ رَعْبًا فَأَبْرَزَتْ حَسْرَاءَ
تَتَخَفَّى عَنِ الْعَيُونِ حَيَاءَ
سُدَّ فَلَيسَ إِلَّا حَشًّا حَرَاءَ
سَمَاءَ وَالسَّبْطُ مَاتَ مَا ذَاقَ مَاءَ
سَبِّ وَحَرِّ الْحَدِيدِ وَالرَّمْضَاءَ
سَيَوْمَ مَنْ حَيَّ هَاشِمٍ أَحْيَاءَ
فِي بَنِي حَرْبٍ غَارَةً شَعْوَاءَ
لَمَقِيمٍ مِنْهُمْ عَلَيْهَا ثَوَاءَ
طَعْنَةً تَنْظُمُ الْكُلَى نَجْلَاءَ
وَحُدُودِ السَّمْرِ الظَّمَاءِ رَوَاءَ
بِشْفَارِ الْبَيْضِ الرِّقَاقِ شَفَاءَ
لَمْ تَخَالِطَ أَجْفَانَهَا أَقْدَاءَ
سَوِطُ مَنْ رَاعَ أُمَّهَا الزَّهْرَاءَ
أَحْرَقُوا لِابْنِهَا الْحُسَيْنِ خَبَاءَ
سَدَّ عَلِيٍّ يَشْكُو الضَّنَا وَالْعَنَاءَ
تَرَدُّ الْحَشْرِ فَتْنَةً عَمِيَاءَ
بِأُسِهِ صَرَّفَ الرَّدَى كَيْفَ شَاءَ
[أدب الطف]



بعض الحقوق

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

وَأَمَّا حَقُّ النَّاصِحِ فَإِنْ ثَلَيْنَ لَهُ جَنَاحَكَ، ثُمَّ تَشَرَّبَ لَهُ قَلْبَكَ، وَتَفَتَحَ لَهُ
سَمْعَكَ، حَتَّى تَفْهَمَ عَنْهُ نَصِيحَتَهُ، ثُمَّ تَنْظُرَ فِيهَا، فَإِنْ كَانَ وَفَّقَ فِيهَا لِلصَّوَابِ،
حَمِدْتَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَقِيلْتَ مِنْهُ، وَعَرَفْتَ لَهُ نَصِيحَتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَفَّقَ لَهَا
فِيهَا، رَحِمْتَهُ، وَلَمْ تَتَّهِمْهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَأْلَكَ نُصْحًا، إِلَّا أَنَّهُ أَخْطَأَ، إِلَّا أَنْ
يَكُونَ عِنْدَكَ مُسْتَحِقًّا لِلتُّهْمَةِ، فَلَا تَعْبَأُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْكَبِيرِ فَإِنْ حَقَّ تَوْقِيرُ سِنِّهِ، وَإِجْلَالُ إِسْلَامِهِ، إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ
الْفَضْلِ فِي الْإِسْلَامِ، بِتَقْدِيمِهِ فِيهِ، وَتَرَكُ مُقَابَلَتِهِ عِنْدَ الْخِصَامِ، وَلَا تَسْبِقْهُ إِلَى
طَرِيقٍ، وَلَا تَوُثِّمُهُ فِي طَرِيقٍ، وَلَا تَسْتَجْهَلْهُ، وَإِنْ جَهِلَ عَلَيْكَ تَحَمَّلْتَ، وَأَكْرَمْتَهُ
بِحَقِّ إِسْلَامِهِ مَعَ سِنِّهِ، فَإِنَّمَا حَقُّ السَّنِّ بِقَدْرِ الْإِسْلَامِ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الصَّغِيرِ فَرَحْمَتُهُ، وَتَثْقِيفُهُ، وَتَعْلِيمُهُ، وَالْعَفْوُ عَنْهُ، وَالسِّرُّ
عَلَيْهِ، وَالرَّفْقُ بِهِ، وَالْمَعُونَةُ لَهُ، وَالسِّرُّ عَلَى جَرَائِرِ حَدَائِثِهِ، فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِلتَّوْبَةِ،
وَالْمُدَارَاةُ لَهُ، وَتَرَكُ مُمَاحَكَتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى لِرُشْدِهِ.

[رسالة الحقوق]